سيدتي ....

كيف تكونين أنثى ناجحة ؟



Bibliotheca Alexandrina
0193351

دار الندوة

محمد محمود إسماعيل

كيف تكونين
انثى ناجحة؟

© دار الندوة للنشر

المركز الرئيسي: ٢٣ ش الميناء الشرقية، محطة الرمل، ص . ب (٦٩) اسكندرية

ت: ٨١٤٧١٨ اسكندرية

مكتب القاهرة: ش محمد فريد عابدين ت : ٣٥٥٧٥٦١ القاهرة جمهورية مصر العربية

محمد محمود اسماعيل

كيف تكونين انثى ناجحة ؟

دار الندوة

اهداء . . .

الى كل من تبتغي النجـــاح

باتباع هدى اللّه سبحانه وتعالى

تقديم

الحمد لله الذى خلق الذكر والأنثى ، وألف بين قلوبهما، وجعل بينهما السكينة والمودة والرحمة ، ليعمر الكون ، ويستمر بقاء الجنس البشرى ، وتسير عجلة الحياة لتؤدى رسالتها التى هيأها اللّه لها ، لقد أردت بتأليف هذا الكتاب أن أقدم لإناث البشر ما يحفظ كيانهن ، وينير حياتهن ، ويحفظهن من عاقبة الفشل والانحراف ، والبعد عن رسالتهن التى أعدهن الله لها منذ خلقن . . . فالأنثى سبب عمارة الكون . وهى التى تعد المواطنين ذوى العقائد الراسخة ، والأخلاق الفاضلة ، والاتجاهات المستقيمة الذين يسهمون فى خدمة وطنهم ، ورقى دولتهم ، وإسعاد وطنهم . . وعندما نربيها تربية صالحة ، ونعدها لرسالتها إعداداً سليماً نستطيع أن نتنبأ بمستقبل الوطن ، ونأمل فيه السعادة والرخاء للجميع.

والأنثى التى تعرف رسالتها فى الحياة ، وتؤمن برسالتها الطبيعية فيها ، وتحرص على تأديتها على الوجه الأكمل ، هى المنارة التى تضىء طريق الحياة للجميع ، وتهديهم جميعا سواء السبيل .

والأنثى التي تتفرغ لرسالة الزوجية والأمومة والبيت هي الكنز الذي لا يقدر بمال ، والجوهرة التي يعجز عن تقديرها الرجال . . . هي سر الأمة الذي ينفخ في روحها فتتوجه إلى الطريق المستقيم ، وتؤتي ثمارها يانعة في كل حين، وترفع مكانتها إلى حيث تكون موضع إعجاب الجميع في جميع مجالات الحياة المتعددة . . وهي القوة التي تعد كل القوى . . وهي الروح التي تسري في الجميع فتدفعهم إلى أرقى درجات الكمال ، وترفعهم إلى أعلى مناصب المجد والفخار .

إنني إذ أقدم هذا الكتاب فإنني أقدم منهجاً إسلامياً اجتماعياً تربوياً لإعداد الفتاة ، لتفهم رسالتها في الحياة ، ولتعرف واجباتها في كل أطوار حياتها على هدى من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى لا تضل الطريق ، وتكون ممن هداهن الله إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهن ، ووعدهن ثوابه الجزيل .

والكتاب مقسم إلى سبعة فصول هي : الأنثى طفلة – الأنثى مراهقة – الأنثى زوجة – الأنثى أم – الأنثى ربة بيت – الأنثى عاملة ، الأنثى سيدة مجتمع .

والحديث في الفصلين الأولين موجه إلى الأبوين ، وتساعدهما في أداء دورهما المدرسة والمجتمع ، أما بقية الفصول فالحديث موجه إليك باعتبارك في مرحلة تتحملين فيها مسئولية عملك .

أرجو أن تقرأن هذا الكتاب في تمهل ، وتفهمنه بوعي ويقين ، وأن يكون هاديا لكن إلى أرشد سبيل . . .

وإذا اتبعتنه نلتن سعادة الدارين ، ورضا الخالق والمخلوق . . وما أعظم هذا الرضا !!!

وفقكن الله ، وهداكن سواء السبيل إنه سميع مجيب ،

محمد محمود أسماعيل

أولا . . .

الانثى طفلة

منذ الولادة حتى سن ١٢ او ١٤ سنة

هذه كلمات موجهة إلى كل والدين ليعرفا طريقة العناية بابنتهما ، وطريقة توجيهها فى طفولتها حتى تصل إلى مرحلة المراهقة سليمة صحياً ونفسياً وتربوياً .

« مَن أبتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ الَّنارِ »[1]

« حديث شريف »

---

(١) ابتلى : اختُبر

دور الوالديـــــن
في رعاية الطفلة

تعنى جميع الدول التى تقدمت اقتصادياً واجتماعياً عناية تامة بطفلاتها ، فتعمـل جاهدة على أن توفر لهن التغذية الكافية ، والرعاية الطبية ووسائل التربيـة المتعـددة، وسبل الراحة النفسية كافـة ، فطفـلات اليـوم هـن شابـات الغـد ونسـاء المستقبـل ، وكل جهد أو مال ينفق فى سبيلهن يرتد على أممهن أضعافاً مضاعفـة حيـن تشببـن شابات ، وتستوين نساء، وهن بذلك أمـل كـل شعب فى غـده ، وعـدة كـل دولـة فى مستقبلهـا . . والشعب الـذى تعلـو وجـوه طفلاتـه البسمـات هـو الشعب الـذى ينتظره المستقبل المشرق الباسم، والمجتمع الذى يترك طفلة قد علت وجهها مسحة الحزن هو المجتمع الذى سيجنى ثمار تردى هذه الطفلـة فى مهـاوى البـؤس حينمـا تشب موتـورة ، وتصبـح قـادرة على ارتكـاب المآثـم والشرور . . ولا تقـل حاجـة الطفلة إلى الشبع العاطفى عن حاجتهـا إلى الشبـع المـادى .

وقد بدأت الدراسة العلمية للطفولة منـذ نصف قـرن تقريبـا ، إلا أن الحـوادث الجسام التى فتحت العيـون على مـا للطفولـة المبكـرة مـن الأثـر العظيـم فى حيــاة الشعوب لم تقع إلا حديثا ، ومنذ ذلك الوقت بدأ الاهتمام بالطفولة وحياتها يتزايد، وانكب العلماء على دراسة مشكلات الطفولة ونواحيها المختلفة ، وكانوا ينشرون خلاصة أبحاثهم وتجاربهم فى الصحف والمجلات العلمية تارة ، وطوراً فى الكتب حتى استطاعوا أن يجذبوا أنظار الآباء والأمهات إلى ما للعناية بالطفلـة مـن أهميـة بالغة فى حياتها ومستقبلهـا .

وهذه مبادئ تحدد دور الوالدين فى رعاية طفلاتهما :-

المبدأ الأول : الفورية والثبات فى استجابة الأم بشكل عام لمؤشرات التوتر التى تصدر عن الطفلة ، وذلك بهدف إزالة هذا التوتر ، فقد وجد أن الطفلات اللاتى لم تكن أمهاتهن يستجبن لحاجاتهن بشكل فورى فى الأشهر الأولى من حياتهن يملن بعد ذلك إلى أن يصبحن سريعات الاهتياج ، وأصعب رضى وأقل إطاعة لأوامر ونواهى أمهاتهن عندما يصبحن أكبر سنا ، ولعل هذه النتائج تبين لنا إلى أى حد يتعارض الرأى العلمى مع الاعتقاد الخاطئ الشائع بأن الأم التى تسارع إلى الاستجابة لبكاء طفلتها إنما تعمل على إفسادها دون شك فى مستقبل حياتها .

المبدأ الثانى : ضرورة التفاعل المستمر بين الطفلة وأمها ، ذلك التفاعل الذى تتخذ فيه الأم موقفا إيجابياً فعالاً فى حياة الطفة ، فلا يقتصر نشاطها على مجرد الاستجابة لحاجات الطفة ، وإنما يأخذ أيضاً المبادأة فى استثارتها اجتماعيا وانفعالياً ومعرفياً ، وذلك بالبقاء دائماًعلى اتصال بها تحتضنها وتعانقها وتتحدث معها وتلاعبها وتداعبها ، وتشترك معها فى ألعابها وغير ذلك .

المبدأ الثالث : تشجيع الطفلة على الاستطلاع الحسى والحركى والاجتماعى للبيئة التى تعيش فيها .

والواقع أنه بتحقيق المبدأين الأولين يكون الوالدان قد كسبا ثقة الطفلة ، وتعلقها الآمن بهما ، وهذه العلاقة المبنية على الثقة والتعلق الآمن هى من أهم

العوامل التى تساعد الطفلة على الاستطلاع المادى والاجتماعى لبيئتها ، وبذلك يصبح بإمكان الآباء أن يستخدموا هذه الثقة التى أوجدوها فى طفلاتهم للأخذ بأيديهن وتقديمهن إلى الجديد وغير المألوف من الأشياء والأشخاص .

علاقة الطفلة بالاسرة

إن الأسرة تمثل العالم فى نظر الطفلة ، ومع ذلك فليست هناك أسرة تبدو فى عينى طفلتها المثل الأعلى للعالم أكثر مما يبدو العالم خارج الأسرة مثلاً أعلى فى نظر الكبار ، ولاشك أن الوالدين اللذين يتمتعان بخيال خصب وبعد نظر يدركان أن من واجبهما أن يهيئا لطفلاتهما البيئة الروحية والعقلية الصحيحة ، ومثل هذه البيئة تستدعى من الأم ألا تكون مجرد كتلة من الحنان والتضحية بل أن تكون من بعد النظر بحيث لا تبلبل أفكار الطفلة وتحرمها بعطفها المفرط من إرضاء رغباتها والاستمتاع بسعادتها الحاضرة . . . . الوالدان اللذان يأخذان بعين الاعتبار خصائص طفلتهما الفردية ويتفاعلان معها على هذا الأساس بإيجابية ، ولا يتركان السلوك الأولى لطفلتهما يؤثر فيهما بشكل سلبى ، هذان الوالدان يستطيعان منذ البدية أن يقيما بناء شخصية الطفل فى الاتجاه السوى بسهولة ويسر .

ومن مسئوليات الأسرة نحو الطفلة :

(١) أن تدبر لها بعد كفاية حاجاتها الجسمية البيئة الملائمة للحب والأمن اللذين ينشدهما جميع الأحياء ، لأن كثيراً من مشكلات الشخصية التى تكشف عن القلق والاضطراب والتناقض تظهر بوضوح فى الطفلات اللائى لم يحرص والداهن - لأمر ما - على معالجة هذه الضرورة الجوهرية .

(٢) إذا لم يعلم الوالدان طفلاتهما التعاون واللعب النظيف واحترام حقوق الآخرين في منزل أسرتهن يكون هذا دليلاً على أن الأسرة فشلت فشلاً ذريعاً في تعليم طفلاتها ، وكلما بكرت الأسرة بتعليم الطفلة إطاعة مبادئ القانون والنظام قلّ بذلك ما قد يبدو لها في قادم أيامها من قسوة النظام الذى يفرضه المجتمع ، وقد قال أحد الخبراء : « نعتقد أن الحالات النفسية ، والعادات التى تتكون فى الطفلة قبل سن الخامسة تلازمها مدى حياتها ، بل إنها تقوم من أخلاقها مقام الأساس » .

(٣) ينبغى ألا تعرض الطفلة الناشئة للعمل الشاق المجهد لأن هذا يجعلها تكره العمل مستقبلاً ، ومع ذلك فمن الواجب أن يعهد إلى الطفلة بإتمام أعمال بسيطة منظمة في وقت مبكر جداً عندما تكون لهفتها على تقديم المعاونة على أشدها

(٤) يجب أن يشرك الوالدان طفلاتهما فى اجتماعات الأسرة ومناقشاتها لأنهن يقدرن موقف والديهن حين يثقان بهن ويطلعانهن على طرف من أسرارهما، ولأن هذا يدعم الشعور بزمالة أفراد الأسرة ووحدة كيانهم .

وليكن فى علم الوالدين أن مما يعطل تربية الطفلة التربية الواجبة أن يبالغا فى تدليلها ، ويطلبا منها سلوكاً غير سلوكهما ، وأن تشغلهما دواعى العمل عن إضفاء حبهما وحنانهما عليها فلا يبذلان لها النصائح التى توجهها إلى الطريق الصحيح ، ولا يخرجان معها فى رحلات جماعية ، ولا يتسع صدرهما لكل ما تقوله حتى تشعر بالاطمئنان نحوهما ، كما يجب ألا يتحدثا أمامها بأسرارهما الخاصة ، وأن يعلما أنها فى حاجة إلى نمو عواطفها ، وأن حبها يبدأ بنفسها ثم بوالديها ثم بزميلاتها وصديقاتها اللائى من جنسها ، كما يجب أن يهيئا لها جو الارتباط الوثيق

بالناس لتشب ودودة لطيفة المعشر متجاوبة مع بيئتها وظروفها ، والطفلة التى تتعلم التجاوب مع أسرتها يكون من السهل عليها أن تتجاوب بين نفسها وبين الحياة بصفة عامة ، وأن تتصرف فى المواقف التى ستتعرض لها فى المستقبل ، وتصبح ذات شخصية عظيمة .

ولا شك أن كل أبوين يعرفان أن طبيعة كل طفلة تختلف عن طبيعة الطفلة الأخرى ، فيجب أن يعاملا كلا منهما المعاملة التى تناسبها ، كما يجب عليهما أن يتيحا أكبر قدر مستطاع من فرص النجاح لطفلاتهما بأن يمهدا لهن كثيراً من فرص التجريب والتدريب حتى تصبحن شخصيات كاملات ومن فرص التدريب المبكر على ضبط النفس ، وإنشاء عادات من الصبر والتروى والزمالة النافعة التى تؤدى إلى تكوين فرد يعتبر نفسه جزءاً من المجتمع ، وأن يوجها الظواهر العاطفية المبكرة فى الطفل ، وأن يعملا على تحقيق التوازن بين مختلف العواطف ، وألا يدخرا وسعا فى الارتفاع بطفلاتهما إلى أسمى مستوى تمكنهن مواهبهن من بلوغه، وأن يعلما أن الارتفاع بهن إلى هذا المستوى لا يعتمد على العوامل المادية ، بل إن للفضائل الروحية فى هذا الشأن الفضل الأول والأخير . . . . والعبرة بأن تدخلن المدرسة وقد زودتهن أسرتهن بالتربية الفاضلة ، والمعرفة الصحيحة ، والأسوة الحسنة ، والخلق الكريم .

ضرورة الوقاية من الامراض

يجب أن يعلم الأبوان أن أهم ما تجب العناية به وقاية ابنتهما من الأمراض، لأن أغلب الأمراض الفتاكة مثل الحصبة والسعال الديكى تصيب الطفلات قبل سن الخامسة ، وذلك لأن للأمراض تأثيراً سيئاً على النمو ، لأن السنوات الأولى هى

سنوات النمو السريع ، ومقاومة الأمراض فيها تستنفد قدراً كبيراً من حيوية الطفل الضرورية لنموه الجسدى والعقلى ، ولذلك وجب على الأبوين أن يكفلا لابنتهما صحة سليمة ، خصوصاً وأن من مسئوليات التربية الإسلامية العناية بالصحة والإعداد البدنى لتربية جيل قوى البنية والتكوين ، فقد قال عليه السلام « المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ » . ومن الوسائل التى تحقق هذه الغاية :

(١) الحرص على عرض ابنتهما على أخصائى فى العيون وآخر فى الأذن كل ستة أشهر فى الفترة السابقة لموعد ذهابها إلى المدرسة ، وأن يمنعا إجهاد هذه الأعضاء الحساسة أو تعريضها لأى ضغط ، وحمايتها من الضوء القوى أو إجهاد عينها بإطالة القراءة أو النظر إلى التلفاز .

(٢) العناية الصحية بالأنف والحنجرة لأن إهمالها يؤدى إلى نتائج بالغة الضرر... فالروماتيزم وأمراض القلب التى تنجم عن مرض اللوزتين وإهمال العناية بهما أمراض مستعصية لا يمكن أن تبرأ منها الطفلات برءاً تاماً ، والطفلات المصابات بها أقل نشاطاً وكفاءة فى عملهن المدرسى من الصحيحات .

(٣) الطفلات اللائى ترضعن من أثداء أمهاتهن لاتُصَبن بأمراض كثيرة كالتى تصاب بها من تُطعمن صناعياً ، ولذلك تتهيأ لهن فرصة الظفر بأسنان حسنة سليمة .

(٤) العناية بالأسنان خلال الأعوام المبكرة من حياة الطفلة تقرر إلى حد كبير خواص الأسنان الدائمة ، ومن الاحتياطات لصيانة الأسنان الاهتمام بتغذية الأم فى فترتى الحمل والرضاعة ، وإطعام الطفلة كثيراً من اللبن وألواناً

من الطعام غنية بالكالسيوم والفسفور في الأعوام الستة الأولى .

(٥) المحافظة على القوام المعتدل الذى يعد من مقاييس صحة الطفلة العامة، وذلك بتجنب الأسباب التى تؤثر فى هيئة الطفلة العامة وفى اعتدال قوامها مثل نقص التغذية ، والافتقار إلى الراحة الكافية والنوم ، وقلة الرياضة فى الهواء الطلق ، والتهوية غير الصحيحة أو الأحذية الضيقة الصلبة .

(٦) اهتمام الوالدين بتدريب ابنتهما على السير بطريقة صحيحة حتى لا تتأثر قامتها .

وصفوة القول أنه ينبغى أن نضع نصب أعيننا أن أهم ما تحتاج إليه الطفلة هو الطعام والنوم والهواء النقى وأشعة الشمس والوسط المرح السعيد حيث يهتم الكبار بحاجتها ورغباتها ، كما ينبغى أن نعاونها على أن تلتزم العادات البدنية الصحيحة، مع العلم بأن الحزن والقلق والاضطراب والألم أمور تتساوى فى الإساءة إلى الطفلة مع الأمراض الفتاكة أو المخاطر التى يجب أن نحمى طفلاتنا منها ، وعلى ذلك فإن الجو الهادىء يساعد كثيراً فى بناء صحة الطفلة البدنية والعقلية معاً .

النمو العقلى

إن معدل النمو العقلى فى الوقت الحاضر أكبر مما كان عليه فى أى وقت ، فإلى جانب السرعة العظيمة التى يتطور بها الجهاز العصبى تكتسب الطفلة - فى العصر الحاضر - كثيراً من العادات الأساسية التى تصبح جزءاً من كيانها فى زمن الطفولة ، ولهذا كان هذا الطور أهم أطوار الحياة جميعاً ، ففيه تكتسب الطفلة العادات التى تعد بغير نزاع الأساس الذى ستنهض عليه مستقبلاً براعتها اللغوية،

وقدرتها العقلية ، ومرونتها الجسمية ، وميولها العاطفية والاجتماعية التى تعتبر جزءاً من شخصيتها ، ولذلك فإن السلامة العقلية فى هذا الطور بالغة الأهمية لأن الملاحظات دلت على أن كثيراً من حالات التعاسة الشخصية وكذلك العجز عن مواجهة مشكلات حياة الراشدين تعزى - فى أغلب الأحوال - إلى فساد البيئة الأولى ولذلك عنى الإسلام بتكوين الأسرة التى تستطيع تربية الطفلة تربية صحيحة تمكنها من تأدية وظيفتها فى الحياة ، ودلت الدراسة الحديثة على أن الصفات التى يصف بها الوالدان الطفلة بأنها عنيدة أو خجولة مثلاً تعزى إلى الوراثة . . ويقول بدلى: « إن ما يعتقد بأنه جوهرى بالنسبة للصحة العقلية هو أن الرضيع والطفل الصغير يجب أن يحاطا بالدفء والعلاقة الوثيقة المستمرة التى تمنحهما إياهما أمهما والتى يجد فيها الإثنان معاً إشباعاً ومتعة » .

وإذا أردنا معرفة كيفية تدرج نمو الطفلة العقلى فيجب أن نراقب أفعالها وتصرفاتها ، وكلما ازداد إدراكنا للبواعث التى تتحكم فى تصرفات الطفلة استطعنا أن نوجه هذه التصرفات توجيهاً أفضل ، وإن أحسن دليل على التطور العقلى هو مراقبة الحركات الجسمية للطفلة وكيفية تحكمها فيها كلما تقدمت فى السن ، وسوف نرى أنها تتقدم تقدما عظيماً فى مرحلة الطفولة المبكرة نسبياً . . . وهناك فرق واضح بين تطور الطفلة العقلى وتطورها البدنى ، فالحكم على الطفلة من سنها أو منظرها قد يؤدى إلى نتائج وخيمة العاقبة ، والتهذيب الذى يقوم على مثل هذه الاعتبارات قد يكون مجحفاً ضاراً .

وإذا كنا نود رسم خطة لحياة إحدى الطفلات فلا بد من أن نعرف كل ما يمكن معرفته عن استعدادها العقلى وطراز عقليتها والطريقة والغايات التى تستخدم فيها ذكاءها حتى لا نظلمها عند الحكم عليها ، ولا نخطئ عند توجيهها ، ولقد

دلت الاختبارات الكثيرة على أنه يمكن معرفة الاحتمالات النظرية فى الطفلة بغير قليل من الدقة ، وأن الحكمة والتبصر تقضيان على الأبوين بألا يعهدا إلى طفلاتهما إلا بالأعمال التى تناسب سنهن وكفايتهن . . . ويجب أن يعلما أن الميل الواضح إلى العزلة يكون عادة علامة على سوء حياة الطفل العقلية من الناحية الصحية ، وأن تربية الطفلات مسئولية مشتركة بين الوالدين ، وأن للتعاون فى المنزل والأسرة أثراً فى الصحة العقلية أعمق غوراً من أثر أى عامل آخر منفرد .

التغذيــة

أفضل وسيلة للعناية بالطفلة الصغيرة هى تغذيتها من لبن الثدى ، ذلك لأننا لم نصل بعد إلى اكتشاف طعام يجمع تماماً بين العناصر اللازمة لنمو الطفل فى هذه الفترة من حياته أفضل من لبن الثدى ، وعصر الثدى لإدرار اللبن كثيراً ما يكون وسيلة ناجحة لزيادة كمية اللبن التى يدرها الثدى ، وبعد الشهر الخامس أو السادس من مولده يجب أن يعطى غذاء إضافياً . . . ويتوقف تطور الطفلة إلى حد بعيد على التغذية ، فبغير الطعام الكافى والراحة والهواء والثياب والوسط السعيد لا يمكن أن ينمو الطفل نمواً حسنا . . . والتغذية لا تتوقف على مايأكله الطفل ، ولكن على المواد التى يسهل عليه هضمها وتمثيلها ، أى تحويله إلى أنسجة ، والأم الحكيمة تستطيع بمبلغ قليل من النقود أن تقدم لطفلاتها وجبات تكفل لهن حالة صحية عالية .

ومن أسباب سوء التغذية :

(١) الحاجة إلى كمية كافية من الطعام .

(٢) الطعام غير الملائم أو غير المشتمل على العناصر الغذائية الكافية .

(٣) سوء التمثيل ، أى أن عناصر الطعام لا تتحول إلى دم وأنسجة كما يجب أن يحدث . . . وسوء تغذية الطفلة لا يؤدى إلى إضعاف قوة مقاومتها للأمراض فحسب ، بل يؤدى إلى بطء نموها وتطور جسمها بصفة عامة، ولهذا يجب أن يعنى كل أبوين بالغذاء الذى يقدمانه لطفلاتهم من حيث كميته وتوفر عناصره الغذائية .

وقد تعمد الأم عقب الوضع - لضغطها وإعيائها - إلى أن تطعم طفلتها بغير نظام ، وهذا تصرف خاطئ لأنه يؤدى إلى إنشاء عادة يصعب التغلب عليها حتى ولو حدث هذا التغيير مرات قليلة ، والأصلح أن تطعم الأم طفلتها فى مواعيد تحددها منذ البداية لأن هذا يجعلها أكثر هدوءاً ، وأعمق نوماً ، ويصون صحتها و ينظم عملية الهضم . . وإن العناية بإعداد الطعام الطيب لها أهمية فى تكوين عادات الأكل الحسنة لدى الطفلة ، وليس معنى هذا أن نسرف فى الاهتمام بذوق الطفل أو نشجعها على اتباع عادات ممقوتة ، وإنما معناه تقديم الطعام للطفلة بطريقة مغرية تنشط لها شهيتها ، على أنه من الواجب ألا نقدم للطفلة طعاماً تعافه نفسها، ونرغمها على تناوله ، وليعلم الأبوان أن طفلتهما تقلدهما فى تناول طعامهما ، وأنه يجب تجنب إثارة المقارنات الممقوتة بين طفلات الأسرة الواحدة ، وأن يكون جو الطعام مشبعاً بالسرور والبهجة .

النـــوم

من الواجب على الأبوين أن يعطيا طفلاتهما فترة ملائمة من النوم والراحة ، وهذا فى مقدورهما ، وذلك لأن الطعام والراحة حاجتان ضروريتان للنمو العضوى..

ولا شئ يستطيع أن يرفع من استعداد الطفلة للاستجابة إلى مطالب بيئتها كما ينبغى غير النوم المنتظم الكافى ، فكل كائن حى يحتاج إلى الراحة ، وفى خلال السنوات التى يستمر فيها النمو يكون الوقوع فى خطأ إعطاء الطفلة راحة تتجاوز الحد المناسب أكثر أمناً من المخاطرة باحتمال إصابته بالإعياء والجهد العصبى فى المستقبل .

النشاط واللعب

ينبغى تدبير الوسائل الكافية للعب الأطفال - سواء داخل المنزل أو خارجه- بتدبير وسائل اللعب الطريفة التى تستهويه وتثير فى نفسه الرغبة فى الحركة والنشاط لأن أشعة الشمس والهواء الطلق وكثرة الحركة من العوامل التى تساعد الطفلة على مقاومة الأمراض والتغلب عليها ، ولأن الطفلة التى تتعطل حريتها تبعاً لضيق المكان أو لضعف تفكير الكبار المحيطين بها لا تستطيع أن تتلذذ بلعبها أو تنال القسط اللازم لها من النشاط ، مع العلم بأن نشاط الطفلة ولعبها التى تهتم بها لها الأثر الأكبر فى تكوين أخلاقها وعاداتها ، وهذا يتوقف على اختيارنا الأدوات واللعب التى تناسب هذه الغاية ، والمكان الملائم للعبها .

وأهمية اللعب عند الطفلة لا تقل عن أهمية العمل فى حياة الكبار لأن اللعب هو شغل الطفولة الشاغل فى السنوات الأولى ، وهو وسيلة الطفلة للتعرف على ما يحيط بها وللتكيف معه ، فاللعب ضرورة حيوية يتم بواسطتها نمو الجسم وتطوره ، وهذا يفسر السرور الذى تجده الطفلات كلهن فى اللعب . . ولا تقتصر أهمية اللعب على تعويدها الإقبال على العمل بسرور ، بل إن اللعب يقوى فيها النشاط الذهنى والقدرة على الابتكار ، والألعاب التى تجمع طفلات متقاربات

الأعمار والكفاءات ذات أثر بعيد فى تنمية روح الجماعة فى الصغار ، وهى تبرز فيهن صفات الاعتماد على النفس والقدرة على الزعامة ، وتدعو مواهبهن الجماعية إلى التفتح والازدهار ، وتهذب الصفات الضارة التى تنمو مع الانفراد . ويمكن أن يقوم الوالدان بتنمية الإبداع عن طريق تشجيعهما الطفلات على اللعب .

والصحبة التى تلزم الطفلة فى ما دون الثانية من العمر لا بأس من الاكتفاء بمن هم فى محيط الأسرة المألوف ، وفى ما بعد الثانية تكون من الطفلات اللائى يماثلنها فى السن أو يزدن قليلاً ، وإذا لزم أن يكون معها بعض الكبار يجب أن يلتزموا بقاعدتين هما :

(١) عدم التدخل فى شأن الطفلة أثناء انصرافها إلى عيثها ولعبها إلا إذا استلزم نظام طعامها أو نومها ذلك ، أو تعرضت هى للخطر .

(٢) وجوب خضوع الكبار لزعامة الصغار إذا أرادوا اللعب معهم ، فيتقبلون الفكرة أو الخطة التى يرسمونها ولا يفرضون عليهم ما يودون هم فى اللعب حتى لا ينزلقوا إلى المبالغة فى استثارتهم .

وينبغى أن تشمل أدوات اللعب أشياء تدفع الطفلة إلى استخدام عضلاتها ، وأخرى تدفعها إلى التفكير والاستنباط والإنشاء ، وأن تكون الأدوات قابلة للتحوير والتكييف ، وأن تكون متنوعة لأن الإحساسات الجديدة قد تثير نواحى جديدة من النشاط ، ولأن التنويع مرغوب فى التجارب ، وأن يكون للعب هدف وغرض .

التربية الاساسية

تنظر الطفلة أول عهدها بالحياة إلى أبويها نظرة الاجلال والإكبار ، ومن ثَمَّ

تسلك سلوكهما وتتخذهما قدوة لها ، ولذلك يجب أن يكونا مثالاً للخلق الحسن والمسلك الكريم ، وقد قال الإمام على رضى الله عنه : (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها من شىء قبلته) وفى دراسة قام بها يترانس مور تبين أن الأطفال الذين تتولى أمهاتهم رعايتهم طول الوقت يميلون أكثر من غيرهم إلى أن يتمثلوا المعايير السلوكية التى يقرها الراشدون ، وخاصة فيما يتعلق بالضبط الذاتى والتحصيل الدراسى . . وعلى الأبوين أن يحميا طفلاتهما من الخطر النفسانى وهن فى مرحلة الطفولة المبكرة ، ومساعدتهن على استكمال قدرتهن على التمييز بين السلوك الحسن والسلوك السيئ وتعليمهن الأخلاق الإسلامية وأنها ترضى ربهن الذى خلقهن ، على أن يكون الهدف تهذيب النفس وتوجيه الذات حتى تجتزن هذه المرحلة بسلام ، وعلى الوالدين أن يُفروا الطفلة بالارتفاع إلى مستوى الغاية التى تناسب مرحلة نموها ، وأن يشجعاها بالمكافأة على جهودها لبذل جهود أفضل... ورفض تعاون الطفلة إلى حد ما صفة طبيعية ، قد يكون سببه الرغبة فى الاستقلال أو أسباباً أخرى غير واضحة ، وخصوصاً عند ابنة العامين لأنها تكون عاجزة عن التعبير عما تريد ، والواجب يقضى علينا بتهيئة وسط تكون فرص التصادم فيه محدودة قدر المستطاع ، وأن نترك للطفلة حرية التفكير والعمل مادامت هذه الحرية لا تؤدى إلى ضرر ما ، وقد قيل « إن الوسط القاسى أو الخشن قد يؤدى بالطفلة إلى اعتزال بيئتها ، أو بعبارة أخرى تصبح الطفلة عنيدة سلبية . . والأب الذى يكون متسلطاً متجهما مسرفاً فى الشدة ومعه أم مسرفة فى الحنان والعطف لهما تأثير سيئ فى تربية الطفلات ، وهما عثرة فى وجه التصرف الحكيم فى مشاكل الطفولة . . والأمر الطبيعى السوى أن تستكمل الطفلة استقلالها وتتحمل المسئولية كاملة فى سن مبكره ما أمكن ذلك لتتعلم من أخطائها، ويجب أن تعامل الطفلات بأدب ولباقة واحترام مع العلم بأنهن يعالجن مشاكلهن

ويدبرن خططهن ، وتدخل الكبار يكون للإيضاح والتوجيه .

ويجب على الآباء ألا يتحدثوا إلى الطفلات إلا وهن مصغيات إليهم ، وأن يقللوا من أوامرهم وأن يكونوا حازمين ، وأن يشعروهن بأنهم يعنون ما يقولون ، وأن تكون طلباتهم على أساس من النظام والحق مع بيان السبب ، وأن يصروا على ما يطلبون . وأن ينموا فيهن الاستقلالية التي يميلون إليها .

وعند توقيع العقوبة ينبغى أن نحسب حساب موقف الطفلة منا ، وأن يكون استعمالها بحذر تجنباً للأثر السيئ الذى قد يترتب عليها ، ويجب أن تكون عادلة ومتفقة مع درجة الخطأ وفور وقوعه ، وأن تفهم الغرض منها ، وأن تتناسب مع حالة الطفلة الخاصة ، وأن نقلل منها ، وكلما كان الأب حكيماً قلت المناسبات التى يلجأ فيها إلى العقوبة ، والعقوبة القاسية تجعل الطفلة تخاف أباها وتدفعها إلى الكذب لتفاديها ، ثم تلجأ إلى التضليل والخداع فتفسد حياتها ، كما تؤدى إلى صلابة الطفلة وقسوتها ، وإلى كبت السلوك الطبيعى ، فإذا لم تكن لدى الطفلة قدرة على المقاومة انكمشت وتقلصت ولاذت بعالم الأحلام ، وهذا الانحراف الذهنى لا يلبث أن يفقد بالتدريج الشعور بالصلة بين الغرض والعمل اللازم لتنفيذ هذا الغرض .

والأسرة هى التى تتولى تربية الطفلة فى أعوامها الأولى التى تعد من حياة الطفلة بمنزلة الأساس من البناء ، وقد قال أحد الباحثين : « إن مهمتنا فى التربية هى أن نعين الطفلة – وهى فى طور الطفولة – على أن تعرف من الأشياء ما يزيد حياتها الحاضرة ثراء ونفعاً ، ويعدها للمرحلة التالية من مراحل الحياة خير إعداد، وهكذا دواليك . . على أن تكون الغاية الأخيرة لهذا كله هى رعاية نموها الدائم تفتحها المستمر.

فترة التعلم

لما كانت فترة طفولة الإنسان طويلة فإنها تمكنه من إنشاء اتصالات متعددة جديدة نافعة فى جهازه العصبى تفيده فى مواجهة المواقف الجديدة مما أفاده من سابق المحاولات والأخطاء ، ومنذ لحظة الولادة تتأثر الطفلة بمؤثرات مختلفة الأنواع ، ولذا يجب أن نهيئ الظروف للمؤثرات التى ينتج عنها فى مسلك الطفلة من المؤثرات ما يفيدها ويدفعها إلى التقدم ، وتشير المقاييس التقريبية الدالة على التطور الطبيعى بصفة عامة إلى تطور الطفلة فى المراحل الأولى المختلفة من عمرها، وإنه من الأهمية بمكان أن يقدر الأشخاص المسئولون عن تربية الطفلات الفروق الفردية بين هؤلاء الطفلات فى تركيبهن العقلى والعاطفى .

والقدرة على التعلم ذخر كبير ، ولكن القدرة على تمالك العواطف وضبطها بسرعة لا تقل أهمية عن التعلم ، إلا أنها قابلة للتأثر الكبير بالبيئة الأولى ، وبعض الطفلات تحبطن فى التعليم المنهجي إذا أرغمن عليه إرغاما ، فى حين أن التعليم الصحيح الذى يتفق مع استعدادهن يمدهن بالثقة والتجارب ، حتى إذا كانت طبيعة استعدادهن مختلفة عن قابلية السواد الأعظم من زميلاتهن . . . وقد ألفنا أن نظن أن التعليم لا يبدأ إلا بذهاب الطفلة إلى المدرسة ، وهذا خطأ ، لأن التعليم يبدأ فى الواقع بمولد الطفلة ويستمر ، سواء اتخذنا من الخطوات ما يكفل تقدمه أم لم نتخذ ، وإذا ألممنا بشىء من المبادىء الرئيسية التى يمكن تطبيقها فى تعلم الطفلة فإن هذا يساعدنا فى الحصول على نتائج مرضية . . ويجب أن يكون التعليم فى مراحل الطفولة مرتبطاً بالصحة وتنظيم القوة البدنية لأن الأولاد والبنات يعجبون دائماً بالقوى العقلية والبدنية التى يتمتع بها الزعماء والأطفال الذين يتوقون إلى اقتفاء خطاهم ، ويجب أن نربيهن على معرفة الله تعالى وحُبه ، والتفكر فى

عظمته ، وأداء الشعائر والعبادات الإسلامية هي الخطوة الكبرى في مناهج التربية والإعداد الإسلامي ، ثم إن المثل العليا للأنوثة مسئولية ملقاة على عاتق الأبوين نحو طفلاتهما لسهولة انطباعها في أذهان الطفلات القابلة للاقتباس والتشكيل ما بين سن الثامنة والثانية عشرة ، وفي خلال هذه الفترة ينبغي تشجيع الطفلات على ممارسة إحدى الهوايات ليصرفن فيها وقت فراغهن كله ، وقد علّمنا الطفلة في طفولتها الأولى كيف تتحكم في سلوكها الطبيعي المتدفق ، ويجب علينا أن نستمر في تعليم هؤلاء الطفلات الكبيرات كيفية ضبط النفس ، وتنشئ فيهن الميول الإيجابية والعواطف السامية التي تقيهن غائلة الرغبات الجامحة التي قد تفاجئهن في مرحلة البلوغ ، وأن نوضح لهن التغييرات التي لن تلبث أن تظهر مقترنة بالمميزات الثانوية لمرحلة البلوغ كارتفاع الصدر واستدارة الأجسام وامتلائها ، وأن نوضح لهن ما هو الحيض والمراهقة وما تحدثه من تغييرات بدنية داخلية .

وهناك طرق مختلفة للتعلم مثل المحاولة والخطأ والمران المتصل وقانون التأثير والارتياح والبداية البسيطة المكتسبة والإيحاء والتكييف السلبي ، ويجب أن نعنى بتوجيه الطفلة إلى سلوك معين في أحوال معينة إذا كنا نرغب في أن يتبع السلوك نفسه في الظروف المماثلة ، مع العلم بأن الطفلة ترث بعض العادات والصفات وتكتسب بعضها الآخر ، وعملية إنشاء العادات عملية إيجاد روابط معينة بين الدوافع والاستجابات التي تتكون منها شخصية الطفل ، وعندما تتعلم الطفلة القراءة يجب أن نشجعها على مداومة المطالعة المسلية لتنشأ فيها عادة البحث بنفسها عن الأشياء التي تريد معرفتها ، وأن نشجع القراءة بصوت عال لتوضيح بعض العبارات، وهذه المشاركة تكون سبباً في الألفة الدائمة بين أفراد الأسرة ، والطفلة المتصفة بالبطء في تعلم القراءة يجب أن يسرع أبواها بعرضها على الأطباء لمعرفة السبب ومعالجته ، وإذا نفرت الطفلة من التعليم لفشلها يمكن للأبوين أن يعيدا إليها ثقتها

بنفسها بإجدى الوسائل المفيدة فى ذلك ، وعندما تبلغ الطفلات التاسعة من أعمارهن تختلف وجهة نظرهن فى الاهتمام بالقراءة فيستمررن فى الإهتمام بالقصص الشاعرية والخيالية ، وتستمتعن بالكتب العاطفية والشعر ، وتهتممن بقراءة كتب التدبير المنزلى ، وفى هذه الفترة تقرأ الفتيات أكثر مما يقرأ الفتيان ، وما لم يحرص الأبوان على تنويع الكتب التى تقدم للفتيات فى هذه المرحلة فسينصرفن حتما إلى مطالعة القصص الغرامية . وهذه فرصة لنقدم لهن كتب سيرة الرسول عليه السلام والصحابيات الجليلات ودورهن فى نشر الإسلام .

تنمية عادة القراءة

إن عادة القراءة من العادات التى تسهم بنصيب وافر فى تحقيق نجاح الطفل وسعادته ، ولذلك يجب أن يبذل الأبوان جهداً فى تحبيب القراءة إلى طفلاتهما فى عهد الطفولة المبكرة ، وأن يغرسا فيهن حب الكتب وتقديرها ، وأن يطلعاهن على مدى ما يمكن أن يفدن منها فى جميع مراحل الحياة لينهلن من الموارد العذبة للقراءة ، فقد تكتسب الطفلة قدراً من المعلومات فى وقت قصير بواسطة الاطلاع أكثر مما كانت تكتسبه بعد كثير من التجارب الطويلة . . . وإلى جانب المعرفة التى تكتسب بالقراءة يجب أن نساعد الطفلات على إضافة أشياء كثيرة جديدة إلى حياتهن الفكرية بصفة مستديمة ، ونختار لهن الكتب ذات الموضوعات الهادفة إلى تربية الذوق وتعليم الأخلاق الفاضلة والتمسك بالتقاليد والعادات الإسلامية ، والقصص التى تتعلق بالظواهر الطبيعية وتوضح أسبابها توضيحا علمياً بسيطاً .

وينمو حب الجمال فى نفس الطفلة عند الإكثار من مطالعة الأدب الرفيع ، والأناشيد الجميلة ذات المعانى الجميلة تفرح الطفلة ، وتتخذ منها أساساً للحب

الصادق وتقدير الجمال .

ولما كانت الطفلات سريعات التأثر فيجب أن نحذر من أن نقدم لهن القصص المفزعة أو المحزنة لأنها خليقة بأن تؤثر فيهن تأثيراً سيئاً فى أذهانهن وأعصابهن، ولعل أغلب حالات الخوف والفزع من الليل ترجع إلى قراءة الطفلات لهذه القصص أو استماعهن إليها ، كما لا نقدم لهن القصص التى تثير فى الطفلات رغبات غامضة وأحلاماً مشوشة ، ولا كتباً تبعدهم عن حقائق الحياة والهروب من الواقع لأن واجبنا أن نساعدهن على مواجهة مصاعب الحياة والتغلب عليها بحزم. وتتلذذ الطفلة كثيراً بتأمل الصور قبل أن تصغى طويلاً إلى القصص ، ولذلك فإن توافر البساطة فى الصور واستخدامها بشكل جميل فى تعليم الطفلة من الضرورات القصوى ، ولو كان لدى الطفلة صور وإيضاحات لكل قصة تروى لها فإنها ترسخ فى ذهنها أكثر . . وكلما ازدادت تجارب الطفلة اتسع أفق تفكيرها بالتدريج ، فبدلاً من أن يقتصر اهتمامها على نفسها يمتد هذا الاهتمام إلى الأشياء المألوفة لديها ، والأشخاص المحيطين بها ، ثم إلى الأشخاص والبلاد البعيدة عنها ، وهذا يزيد كثيراً فى معلوماتها .

حب الاستطلاع

حب الاستطلاع من أسباب تقدم الإنسان هذا التقدم العظيم ، لذلك إذا لاحظ الأبوان أن طفلتهما بدت عليها ظاهرة حب الاستطلاع يجب عليهما أن يرحبا باهتمام الطفلة بما يحيط بها ، ولا يتبرمان من ذلك ، لأن هذا الاهتمام دليل قاطع على اطراد نمو ذكائها . . . وما دام حب الاستطلاع عاملاً مهما فى تنمية قوة الملاحظة والتركيز العقلى فإن نقصه فى الطفلة يدل إما على ضعف فى نمو قواها

العقلية ، وإما على أن أحداً لم يهتم بتنميته . . وما دام التعليم يبدأ من المهد فيجب أن نغتنم الفرصة التى تعرض لنا لإرضاء فضول الطفلة ، وإلا ذهبت إلى المدرسة متبلدة الذهن تبلداً تاماً ، بعيدة عن حب الاستقصاء والاستنباط الفكرى اللذين يجب أن تصطبغ بهما حياتها ، فموقف الأبوين عامل فعال فى تكييف تقدم الطفلة من ناحية حب الاستطلاع ، وتحقيرهما مظاهر حب الاستطلاع أو إهمالهما لها عمل خطير العواقب . . . وتتلذذ الطفلات إذا طرأ عليهن شعور مستحدث وفقن إليه بعد بحث ما ، وقد قالت إحدى الباحثات : « إن حب الاستطلاع دفع طفلاً تقل سنه عن ثلاث سنوات إلى الوقوف فوق نهاية لوح خشبى غير مثبت ، وذلك ليتلذذ بفرقعة النهاية الأخرى عندما تهبط إلى الأرض »

والأبوان اللذان يستخدمان الصور والقصص والأحاديث لكى يزيدا معلومات طفلتهما إنما يثيران فيها حب الاستطلاع ، ويساعدانها على قوة الملاحظة والتفكير الشخصى .

الكلام والاسئلة

إن مما يستحق التأمل أن نراقب الطفلة وهى تتقدم خلال مراحل تعلم الكلام، إنها تحاول فى البداية التحقق من الأشياء ، وتنتقل بعد ذلك إلى مرحلة الإصغاء إلى حديث الكبار الذين حولها . . وهكذا نكوّن إدراكاً وفهماً للكلمات التى تمكنها من التعبير عما يجول بخاطرها فى المرحة النهائية . . وكثرة اختلاط الطفلة بالكبار وذكاؤها يزيدان قدرتها على النطق فى وقت مبكر ، فالطفلات متوقدات الذكاء تتكلمن غالباً قبل الطفلات محدودات الذكاء بعدة شهور . . . وتبدأ الطفلة بالسؤال عن الأشياء ذاتها ثم عن الغرض الذى تستعمل من أجله ، ثم عن مصدرها

وعمن صنعها . . وهكذا لتكوين مادة تستعملها فى حديثها .

وهناك أسباب تجعل من الضرورى التزام الصراحة والإخلاص عند الإجابة عن الأسئلة التى تلقيها الطفلات بصدد المسائل الجنسية ، ونحن لا نستطيع تحويل اهتمام الطفلة إلى مستوى أعلى إلا إذا أجبنا على جميع أسئلتها حتى لا نحرمها من تقوية عادة ضبط النفس وتقدمها . . ولا نعطيها آراء مشوشة أو مختلفة عما ينبغى أن تكون عليه فى مرحلة ما حتى لا تصبح فريسة لضعف الشخصية وعدم الثقة بالنفس وتجرها إلى الجهل المطبق ، ولا نؤخر الإجابة عن هذه الأسئلة لأنها ستسمعها مشوشة أو ملتوية من شخص آخر ، وغالبا ما تكون خاطئة جملة وتفصيلاً... والمعلومات غير الصحيحة عميقة الأثر فقد تكون سبباً فى الفشل فى الحياة الزوجية، والجنوح إلى العزلة والانطواء على النفس . . . فالأفضل أن تتلقى هذه التعليمات من الأبوين . وقد أجمع الأخصائيون على أن الكلمات الآتية ضرورية للطفلة قبل سن المدرسة حتى لا تؤثر الإيحاءات الخاطئة فى أفكارها من ناحية معانى هذه الكلمات :

فى ما يختص بأجزاء الجسم : الثديان - حلمتا الثدى - السرة - البطن - الشرج - الإلية - الفرج - المهبل .

فى ما يختص بوظائف الأعضاء وأحوالها : التبرز - التبول - كيفية التبرز - كيفية التبول - الإمساك - الإسهال - الحمل .

فى ما يختص بالعواطف والرغبات : الجوع - الخوف -الغضب - الشعور بالعار - الغيرة - الحسد - الضيق - سوء الخلق .

وتحصل على هذه الكلمات بحرية وبطريقة عرضية تتناسق مع الحوادث اليومية

التى تقع لها ، وبعيدة كل البعد عن أى إيحاء قذر أو خارج عن حد الأدب .

الخيال

التصور والخيال هبة تكون دنيا الطفلة بغيرها باردة عقيمة ، وغالباً ما تعود قوة خيال الطفلة إلى شعورها بالسعادة والنشاط ، لأن الطفلة التى تتمتع بحماسة متوقدة فى دنيا الخيال تجد مادة خصبة للعمل والتفكير كما أن بداخلها رصيداً من التجارب والملاحظة تلجأ إليه إذا اجتمعت بطفلة أخرى خاملة عديمة المبالاة.

والخيال كحب الاستطلاع إذا أسىء توجيهه أدى إلى ضرر الطفلة ، فإذا سيطرت عليها أحلام اليقظه ، وأفقدتها الاتصال بالعالم الخارجى كان الخيال قد لعب دوراً أكثر مما ينبغى ، ومن المحقق أن الطفلة لا تدرك معنى الخيال حتى تبلغ الخامسة من عمرها . . . وللخيال نفع جزيل وبخاصة للأبوين ، لأن الطفلة إذا كانت واسعة الخيال استطاعا فى سهولة توجيهها إلى السلوك المرْضى . . . وإذا دربت الطفلة على دقة الملاحظة وتقدير ما تراه تقديراً سليماً فإنها تتعلم التمييز بين الأشياء وتقدر نقط الخلاف الدقيقة بينها ، وكل ملاحظة جديدة أو تجربة ترقى بقدرة الطفلة الخيالية لما لها من علاقة بتجاربها السابقة ، وإذا مرت بالطفلة تجارب كثيرة فى حياتها الحقيقية استطاعت فى سهولة أن تستخدم مواهبها لإنشاء حياة خيالية خصبة، ولا شك أن الطفلة التى لا يكبح جماحها ، والتى تهيأ لها كل الفرص لاختبار الحقيقة مع الخيال تربح من ناحية الأمانة العقلية .

ودائرة تعليم الطفلة تتسع اتساعاً ملحوظاً بوساطة الخيال ، وكل كشف جديد تراه الطفلة فى الطبيعة يقربها من واقع الحياة . ولذلك يجب تحويل خيال الطفلة

وتوجيهه توجيهاً مفيداً مع تدريبها بعناية على ألا تخلط بين الحقيقة والخيال ، وتستطيع الأم أن تزيد من شعور الزمالة بينها وبين طفلاتها أو تقلل منه بحسب الأهمية التى تعلقها على الخيال ، فإذا ساهمت مع الطفلة فى لعبها أو اشتركت معها فى حديث تكون هى بطلته فإنها تضاعف اللذة التى تشعر بها من هذا اللعب.

وقد دلت دراسة أحد العلماء على أن الأم التى تشترك فى ألعاب طفلاتها ، وتحرص على أن تكون علاقتهن بها طيبة فيطمأننَّ إليها ويفصحن لها عن خلجات أنفسهن إنما تضع الأساس لبعض الظواهر المميزة للأخلاق الفاضلة كالأمانة والصدق.

تنمية المثل العليا

إذا كنا نريد أن ننمى فى الطفلة المثل العليا للشرف والصدق والأمانة فيجب أن يتحلى الكبار الذين تعيش معهم بهذه الصفات ، فالشخص العادى من الكبار يعتقد أنه صادق ، وقلما يفكر فى ما يلجأ إليه من التواء فى القول ، أو مواربة فى الحديث ، أو مبالغة يظنها أمراً عادياً ، ومع ذلك فإن هذا الخداع والمبالغة يحدثان أثراً سيئاً فى نفس الطفلة . . . وكثيراً ما يتوعد بعض الآباء بناتهم بتوقيع عقوبات أو يعدونهن بأشياء جميلة ثم لا ينفذون ما يقولون ، وتكون النتيجة أن الوعود والعقوبات تكون أكاذيب يترتب عليها فقدان الطفلة الثقة بوالديها ، وعدم المبالاة بوعدهما أو وعيدهما ولذلك قال عليه السلام : « أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً فَفُوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم » . . . . وقد دلت الدراسات الحديثة لأكاذيب الطفلة على أنه كلما كبرت الطفلة قلّ انصياعها شيئاً فشيئاً للشرائع والنواميس التى يضعها أبواها ، ثم إنها تصبح أكثر ملاحظة لسلوكهما ، وهل يتفق هذا السلوك والمثل العليا التى حشوا بها ذهنها منذ نعومة

أظفارها؟

وليكن معلوماً ، أن تمحيص أسباب كذب الطفلة أو أى خطأ يصدر منها أكثر أهمية من توقيع العقوبة ، ثم إنه بغير السلوك الأمين من جانب الكبار المحيطين بالطفلة فإن أى مسلك آخر فى تربية الطفلة يكون عديم الجدوى .

العاطفة

تظهر العاطفة عندما تواجه الطفلة موقفاً لم يكن لديها استجابة كافية حاضرة له ، ووجودها يعنى أن تغييرات واسعة النطاق تحدث فى الجسم ، وبوساطة هذه التغييرات يسرع النشاط ، والدليل على وجودها تغير لون الوجه وسرعة التنفس أو بطؤه مثلاً ، وهذه التغييرات تدل على أنه بينما تصاب أعضاء الطفلة باضطراب لجهلها كيفية التصرف فى الموقف الجديد فإن شعورها بالحيرة يجعل فى الإمكان ظهور عدد كبير من الاستجابات الخاطئة والتجريبية ، وأول عاطفتين تظهران هما الضيق والفرح ، ثم تظهر العواطف الأخرى كلما كسبت الطفلة مزيداً من التجارب، ووظيفة العاطفة من الناحية الجسمانية مساعدة الطفلة فى المواقف التى تحتاج فيها إلى مساعدة وقت الضيق ، وهى نافعة لأنها ترغمها على سلوك مخالف لسلوكها المعتاد ، وتجعل من الممكن حدوث تأقلم سريع فى المواقف الجديدة غير المتوقعة.

والغيرة والغضب والخزى والغرور والبغض استجابات مألوفة تبديها الطفلات اللائى فى سن الثالثة أو الرابعة لمن يثيرون فيهن هذه المشاعر ، وهذا النمو العاطفى السريع يجعلنا نرى العلاقة الوطيدة بين العاطفة والتعليم . . . ويجب توجيه السلوك العاطفى المبكر للأطفال بطريقة تجعل الاستجابات النافعة الإنشائية مألوفة ، ولكى نوجه عواطف الطفلة بحكمة فإنه من الأهمية بمكان أن نتخذ اتجاهاً

متطوراً موضوعياً إزاء السلوك العاطفى . . . والقسوة البالغة والخشونة واستخدام العقوبات البدنية المتتابعة تنتج الخوف ، ومن المشكوك فيه أن تتمكن الطفلة التى خلقت منها المعاملة القاسية طفلة خجولة متراجعة من استعادة حالتها الطبيعية أو تنجح فى المحافظة على شخصيتها الأصلية ، فإذا واصل الكبار تهديدها فى طفولتها المبكرة وجدت عندها حاسة الفتور والفشل التى تنتج التردد وعدم معالجة أى موقف صعب ، ولا شك فى أن الأنانية والقيود التى تفرضها الأمهات بغير تفكير مسئولة عن نشوء كثير من الطفلات على الخوف والجبن ، ولذلك وجب أن تكون القاعدة المتبعة إمتداح الشجاعة وإثارة الجرأة فى نفس الطفلة ، وقد وضح صعوبة تخليص الطفلة من المخاوف التى تكتسبها من أمها ، وسهولة تخليصها من المخاوف التى تكتسبها من طريق آخر . والأم التى يهمها فعلاً تربية طفلتها ونشأتها مجردة من الخوف يجب عليها أن تحاول نفى الخوف من حياتها .

وكلما زاد استقلال الطفلة زاد تعرضها لمجابهة مواقف جديدة ، ومن المهم أن نتوقع انفعالها بهذه المواقف ونعد لها العدة فمن المحتمل أن تؤدى بها إلى اكتساب الخوف . . والتعليم المبكر وضرورة النشاط الذهنى والبدنى لإيجاد منصرف للإنفعال أمر هام فى تعويد الطفلة على الشجاعة .

إننا لا نستطيع أن نوسع حياة طفلاتنا العقلية ، أو أن نهب لحياتهن العاطفية والأدبية الإخلاص و النبل والعطف ، وكل ما نستطيع أن نفعله أن نهيئ البيئة الملائمة التى تتوافر فيها العناصر اللازمة لهذا النمو ، بشرط أن تستسيغ الطفلات هذه العناصر ، ومن ذلك إشراكهن فى المناسبات العامة ، ويستطيع الوالدان أن يغرسا فى الطفلة حب الوطن والاعتزاز بكرامتها التى تعتبر من دوافع تصرفاتها . والتى تمنعها من التصرفات التى تعاب بها بذكر فضل الوطن عليها ، وواجبها نحوه.

النمو الاجتماعى

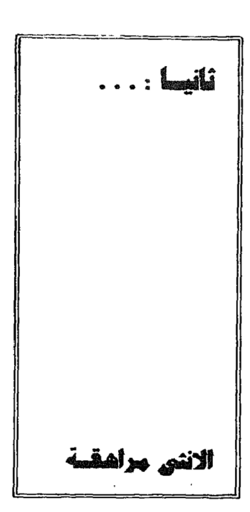
ابتسامة الطفلة الأولى هى أول استجابة منها لموقف اجتماعى ، وفى الشهر الثالث تصبح محتاجة إلى وجود أخريات ورفقتهن ، ولا تبدى اهتماماً بالطفلات الأخريات قبل الشهر السادس من عمرها . . . وتبدأ الطفلة فى إنشاء العلاقات بينها وبين الأخريات فى وقت مبكر جداً من حياتها ، وتنظر إلى من هى أكبر منها نظرة الإكبار والإجلال . . . . ويجب أن تلعب الطفلة مع من هى فى مثل سنها حتى تقوى شخصيتها ومقدرتها على مواجهة الحياة ، وأن تكون قادرة على المحافظة على كيانها وتوطيد شخصيتها بين زميلاتها . وهؤلاء الصديقات لهن تأثير فى شخصية الطفلة ، والطفلات تفضلن اللعب مع من يماثلهن فى السن ويتحلين بنفس صفاتهن ، ويتساوين فى تفكيرهن العقلى وفى ذكائهن . . . ومن هذا يتضح أن الأبوين لا يستطيعان أن يفعلا شيئاً فى اختيار الرفيقات ، وكل ما يجب أن يفعلاه هو أن يوجدا لطفلتهما مجموعة من الصديقات اللائى يثقان فيهن وتشعر فى وجودها بينهن بأنها سعيدة ، وفى استطاعتها التعبير عما يدور فى خاطرها .

ولا نستطيع أن ندعى أن الطفلة تستطيع مشاركة الطفلات الأخريات فى اللعب قبل عام من عمرها ، لأن مثل هذه المشاركة تستدعى منها قدرة على الحركة بحرية لا تتوفر لها من قبل ذلك . . ويبدو أن الطفلة الصغيرة لا تستطيع الاندماج فى جماعة كبيرة قبل أن تتم سنتين من العمر ، وعندئذ تبدأ اللعب مع اثنتين أو ثلاثة ، ومع حب الطفلات الحياة الإجتماعية فى تلك السن المبكرة نرى لعبهن يسير فى اتجاهات متوازية ولا يلتقى فى نقطة واحدة . . . وهكذا فإن الطفلة ابنة العامين التى تذهب إلى الحضانة تلعب وحدها ، وعندما تبلغ الثالثة أو الرابعة من عمرها تنضم إلى زميلاتها فى اللعب وقد اكتسبت قدرة على تكييف نفسها

لإرضاء رغبات الأخريات ، حتى إذا بلغت الخامسة تكون قد خطت خطوات كبيرة نحو التعاون ، وأصبحت قادرة على أن تلعب دوراً فى جماعة كبيرة .

والطفلات حين تحدث لهن تغيرات ملحوظة فى تكوين أجسامهن يكن فى حاجة إلى أن نؤكد لهن أن هذا التغيير وكذلك النزعات النفسية الجديدة ظواهر طبيعية متوقعة الحدوث ، ومن الضرورى أن نوجه ردود فعل الطفلة الاجتماعية توجيهاً ينطوى على الحرص والتبصر ، ونوجهها لتعرف متى تحاكى الغير ومتى تخلق لنفسها كياناً خاصاً بها من تلقاء ذاتها ، ونشجع نجاحها فى علاقاتها الاجتماعية إذا أثرنا فيها الاهتمام برغبات الأخريات ومراعاة عواطفهن ، ويجب أن يعمل الوالدان على اختصار فترات اختلاء الطفلة بنفسها ، كما عليهما ألا يبديا اهتماماً متواصلاً بأمرها ، وإلا كانت النتيجة الطبيعية أن تغتر بنفسها فلا تبدى غير قليل من الاهتمام بأفكار رفيقاتها ورغباتهن ، ومن أحسن الخدمات التى يقدمها الوالدان للطفلة أن يفهماها أنها لا تستطيع أن تعيش لنفسها فقط لأنه لا يمكن أن تقوم السعادة بدون الحياة الاجتماعية المتعاونة الناجحة .

□ □ □



ثانيا : . . .

الأنثى مراهقة

من سن ١١ الى سن ١٧ او ١٨ سنة

أيها الوالدان ، نتحدث إليكما الأن عن فترة من أهم فترات حياة ابنتكما العزيزة وهى فترة المراهقة التى يجب أن تحظى منكما بأكبر قسط من العناية والتوجيه والمراقبة والمساعدة حتى تجتازها بسلام ، وتسعد فى المراحل التالية من حياتها .

مرحـــلة
المتغيرات

المراهقة دور من أدوار حياة الفتاة يأتى فى العقد الثانى ، ويمتاز بسرعة النمو وكثرة التغيرات التى تنتاب جسم الإنسان وعقله ووجدانه . . وهى تبدأ بنضج الوظائف الجنسية وتنتهى باكتمال النمو الجسمى ، وهى مرحلة لا تكون الفتاة فيها طفلة ولا تكون راشدة ناضحة ، بل تكون فى منتصف الطريق تتجاذبها ميول الطفولة من ناحية وتكاليف الأنوثة من ناحية أخرى ، ولذلك كانت من أدق المراحل التى تجتازها الفتاة فى نموها ، وأشدها عنفاً ، فتنتابها نوبات من السخط والرضا ، ومن الإقدام والإحجام ، ومن ا لانشراح والانقباض ، ومن البذل والمنع، ومن ا لانطواء وا لانبساط ، وهذا يفسر لنا تقلبها فى مبادئها ، وتحولها فى سلوكها، وتناقضها فى تخيل المستقبل .

ولكن حياة الفتاة كلها رغم هذا وحدة متصلة مكونة من حلقات متوالية ، تمتاز كل منها بمميزات خاصة ، إذ أن تلك الحلقات لا يفصلها عن بعضها فوارق حادة بارزة ، وإنما تتداخل فى بعضها وتتحد فى كثير من الصفات .

وقد وجد الكثيرون أن مرحلة المراهقة يزيد فيها نمو الجسم عامة ، والأعضاء الجنسية خاصة ، ويلاحظ فيها أن النمو يسرع فى النصف الأول منها إسراعاً عظيماً ، ثم يهدأ فى النصف الثانى ،وتكتسب الأعضاء النامية قوة وصلابة .

ويقول الأستاذ ستانلى هول « إن دور المراهقة هو دور ظهور ميول وصفات

إنسانية كثيرة ، إن لم يكن لأول مرة فبشكل جديد لم يعهده الفرد من قبل ، فهو الدور الذى تخوض فيه الفتاة غمار حياة النوع الإنسانى على حقيقتها ، ويتميز بمحاولة الفتاة أن تتلاءم مع بيئتها الاجتماعية والروحية حتى تكسب احترام الناس وحسن تقديرهم .

وعليكما أيها الأبوان أن تعلما هذه التغيرات التى تحدث فى دور المراهقة وتضعانها فى اعتباركما عند معاملاتكما طفلاتكما .

التغيرات الجسمية

فى هذا الدور ينمو الجسم نمواً تدريجياً سريعاً ، ويزيد وزنه لدرجة قد تجعل الهيمنة على الأعضاء المختلفة صعبة لحد ما ، فتصبح حركات الأطراف كالأيدى والأرجل ، وحركات الجذع كذلك غير متناسقة وغير متزنة ، فقد تعودت الطفلة أن تسيطر على أعضاء جسمها وأطرافها ، وعرفت كيف تستخدمها فى قضاء حاجاتها ، ولذلك يلاحظ أن الفتاة تكره أن تساعد فى ترتيب المائدة أو تقديم الشاى ، لأن كثيراً من الحركات التى يشتمل عليها ذلك العمل تحتاج إلى توازن فى الذراعين أو اليدين أو الأصابع ، فهى تخاف أن ينذلق الشاى على ملابس الضيوف لعدم وثوقها من أصابعها وذراعيها التى طالت فأصبحت كأنها جديدة عليها ، ويزيد فى حرجها أن الأعضاء فى نموها السريع لا تنمو بنسبة واحدة ولا فى وقت واحد ، بل بعضها يصل إلى نهاية سرعته فى أوقات مختلفة عن البعض الآخر ، فمثلاً اليدان والقدمان تنمو لحد لا يتناسب مع طول الجسم فى أوائل دور المراهقة ، إذ يصل طولهما عندئذ نهايته بينما أعضاء الجسم لم تصل إلى هذه الدرجة بعد ، فنجد أن الفتاة لم تعد ملابسها مناسبة لها لقصر أكمامها ،

بينما الأحذية القديمة أصبح لبسها مؤلماً للقدمين لنموها بسرعة ، ولـذلك يجب عدم الضغط عليها للبسها وإن كانت لـم تستهلك بعد .

وذلك النمو غير المتناسب يعث فى الفتاة المراهقة قلقاً وحيرة نظراً لجهلها بتلك الحقيقة ، إذ يخيل إليها أن يديها وقدميها سيطرد نموهما بتلك السرعة ، وعندئذ تصبح ذات طول شاذ . . ولـذلك يجب عليكما أيها الأبوان أن تطمئنا بنتكما حينئذ ، وتبينا لها أن بعض الأعضاء تنمو أسرع من الأخرى ، وأنه سوف يتم التناسب بين الأعضاء جميعاً عندما يكتمل نمو جميعها .

كما أن هذا النمو السريع يوقع المراهقة وأبويها فى حيرة واضطراب إذ تزداد شهيتها للطعام ، وقد تصل أحياناً إلى درجة غير عادية ، فيجب أن يكون موقف الوالدين أمام هذه الظاهرة عادياً ولا يعلقان عليه .

ويتغير شكل الأعضاء فينمو الحوض عند الفتيات ، وترتفع صدورهن وتحدث فيها استدارة خاصة ، ويتسع الزور ويأخذ شكلاً مستديراً ، ويزداد عرض الأكتاف وتمتلئ ، . . . وربما كان أظهر مميزات البلوغ عند البنات الحيض ، مع أنه يوجد من علامات البلوغ ما يظهر قبله ويدل على قدومه كالطول فى الجسم ونمو الثديين وظهور الشعر تحت الإبطين وبالقرب من الأعضاء الجنسية ، وظهور الاستدارة فى أعضاء الجسم ، ولـذلك يجب على الأم أن توضح لبنتها أن هذا أمر طبيعى ، وتعلمها مدة الحيض وطريقة التطهر بعد انتهائه ، وأن العبادات لا تصح إلا بعد التأكد من انتهائه والتطهر منه . . . ويختلف السن الذى تبدأ فيه تلك العادة باختلاف الأمم والأجواء .

والمشاهد أن كثيراً من الفتيات يصيبهن عند الحيض ألم يستمر طويلاً أو قليلاً،

وتصيبهن آلام فى الرأس وتوتر فى الأعصاب وألم فى الثديين ، وتهيج فى المثانه، وقد يصيبهم إسهال أو إمساك ، وبصفة عامة تقل حيويتهن فيصبحن أكثر قابلية للتعب والملل ، وأقل جلداً على العمل الجثمانى والعقلى ولذا يجب عدم إجهادهن فى فترة الحيض .

وتفرط غدد العرق فى إفرازتها ، ولذلك كثيراً ما نلاحظ أيدى الطالبات ووجوههن فى المدارس الثانوية تفيضن بالعرق ، وتزيد كمية العرق باشتداد الحر، وبأى عمل يثير فيهن انفعالات قوية كالارتباك والخجل أو إعمال الفكر ، وبالسخرية، وهذا يسبب مضايقة لهن ، ولكن تلك الغدد لا تلبث أن تعود إلى حالتها الطبيعية بعد استقرار النمو العام للفتاة ، فيجب أن يطمئنها والداها .

وهذه التغيرات التدريجية السريعة تجعل الفتيات عرضة لبعض الأمراض والعاهات إلا إذا عنى بهن ، واتخذت الحيطة الكافية لوقايتهن منها ، وذلك لأن الجسم غير مستعد لها ، ولذلك يجب عدم تكليف المراهقات ببذل جهود مرهقة ، كما يجب عدم إفراطهن فى مستلزمات الحياة الاجتماعية كالسهر وحفلات اللهو لأنها تستنفد من حيوية الناشئات ما لا يعوضه إلا فترات طويلة من الراحة قد لا تجدها المراهقة وهى فى أعز الحاجة إليها .

ولا يغيب عن الذهن أن مشاكل النمو الجسمانى شديدة الارتباط بالنمو العقلى والنفسى ، وهما شديدا الاتصال بتربية الفتاة .

التغيرات العقلية

يتضح فى دور المراهقة نمو فى القوى العقلية كالحكم والتعليل والفهم والذاكرة

وتركيز الانتباه ، ولا شك فى أن بعض النمو راجع إلى نمو بعض العادات العقلية لدى الطفلة فى أثناء دور الطفولة حتى دور المراهقة ، وأن بعضه راجع إلى السير الطبيعى للنمو الإنسانى .

وتزداد الحواس دقة ورفاهة كاللمس والذوق والسمع ، وتتسع نواح خاصة من الخيال وعلى الأخص النوع المسمى « أحلام اليقظة » التى تلجأ إليها الفتاة لتحقيق آمالها التى لا ترى مجالاً لتحقيقها فى الحياة العادية . . وليست أحلام اليقظة فى حد ذاتها بالأمر الشاذ ، فكلنا قد مارسناها يوماً ما ، ولكن الشاذ هو كثرة الانغماس فيها ، والالتجاء إليها على الدوام كلما واجه الشخص مشكلة عجز عن حلها ، فهى ملجأ مريح تهرب إليه الفتاة لتنسى ما يواجهها من متاعب ، ولذا يحتمل أن تَسْتعذِ بَه الفتاة فتصبح عادة يصعب التخلص منها ، فتتسع الهوة بينها وبين الحياة الحقيقية ، ويتسلط عليها الخيال ، وتعجز عن حل أمورها الصعبة أولاً ثم السهلة بعد ذلك ، فتفشل فى الحياة أيما فشل ، وتصبح عاجزة مسكينة ، وهكذا تسوء حالها الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، فيجب أن يستيقظ الوالدان جيداً لهذه الأحلام ، ولا يدعانها تطغى على ابنتهما حتى تكون سوية فى حياتها، وخير وسيلة لعلاجها تزويد الفتاة بما يشغل وقتها وتفكيرها ، ويتفق مع ميولها وشوقها ، حتى يجذب لبها ، ويصرفها عن الاسترسال فى أحلام اليقظة ، ولذا كانت الهوايات من أكثر وسائل التربية إثارة فى دور المراهقة بحيث لا تشغل المراهقة عما عداها من مصالحها الحيوية .

وتبدأ روح البحث والاستقصاء فى هذا الدور ، كما يتجه الفكر نحو الأمور الدينية ويرغب فى بحثها واستقصائها ، ويجب أن يشبع الوالدان ميول المراهقة فى هذه الناحية فيقدمان لها سيرة الرسول عليه السلام كمثل أعلى ، ويقنعانها

بمبادىء الإسلام لتتبعها بإيمان ويقين ولا تنحرف عنها مدى الحياة .

ويقرر بعض العلماء استمرار ذكاء المراهقات في النمو إلى ما بعد سن السابعة عشرة ، وهذا الذكاء توجهه وجهات جديدة ، فبعد أن كان مجاله ضيقاً في عهد الطفولة لا يعدو البيئة المادية الضيقة التي تحيط بالناشئة أصبح الآن مجاله البيئة الاجتماعية بما فيها من أهواء وأغراض وقرائح مشحوذة ، وأصبحت مشكلة الحياة عند الفتاة أن تفهم الأغراض والأهواء الإنسانية ، والدوافع الخفية التي في صدور الناس ، وتسمو إلى محاولة تفهم منشأ الكون وأسرار الطبيعة العويصة ، وأصبحت يشغل بالها العالم الروحي والعالم الاجتماعي والعالم الطبيعي ، ويتطلب هذا من ذكائها جهداً عنيفاً ، فتراها تنغمس في مجالات عن الديانات ، وحينئذ يجب انتهاز هذا الاتجاه ويقنعها الوالدان بأن الدين عند الله هو الإسلام ، وأنه الذي يجب الإيمان به ، وأن هناك حلالاً وحراماً ، وهناك آخرة وحساباً وهناك جنة للطائعين وناراً للعاصين ويزودانها بالكتب الموثوق منها ، والتي تثبِّت عقيدتها ، وتدفعها إلى التمسك بدينها ، ويجب أن يفسح الوالدان لها صدرهما للمناقشة والعلم كلما أرادت ، وإذا عجزا عن إجابتها يجب أن يوجهاها إلى من يجيب عن أسئلتها من الموثوق بأمانتهم العلمية ، ويجب أن يشبعا نهمها بالقراءات المفيدة التي يجدان عندها ميلاً إليها . . . وإذا كان عندها ميل للعمل التعاوني يشركانها في المشروعات التي تفيد حيها ومجتمعها .

ونظراً لاهتمام المراهقات بالعالم الاجتماعي فيجب على الوالدين أن يفهما بنتهما شيئاً عن السلوك الإنساني ، والعلاقات الاجتماعية التي تتمثل في علاقات الناس بعضهم ببعض ، ويشرحان لها الدوافع النفسية ونتائجها حتى تكون أكثر تسامحا، وأقل غلواً في الحكم على الناس .

ويجب أن يعلم الوالدان أن ذكاء المراهقات له أثر مباشر فى ميولهن ونواحى اهتمامهن واختيار هوايتهن ، وهوايات المراهقات لها أثر هام فى حياتهن المستقبلة، وأن الكثير منها يتوقف عليه نجاحهن فى حياتهن العملية ، فالهوايات التى تمثل شغف المراهقات وغرامهن قد تحدد فى كثير من الأحيان اختيارهن لمهنتهن ، واختيارهن لصديقاتهن . . ومن حسن الحظ أن المدراس تهتم بالهوايات وتوليها رعاية كبيرة ، مما يساعد الوالدين فى رسالتهما نحو ابنتهما .

التغيرات الوجدانية

التغيرات الوجدانية أهم من التغيرات الجسمية والعقلية ، وأثرها أدوم فى حياة المراهقات المستقبلة ، فبذورها التى تبدو فى النمو عندئذ تتخذ شكل الوسط الذى تنمو فيه ، وتتأثر بالتربية التى تتأصل فيها ، وأهمها ما يتصل المسائل الجنسية ، وأهم هذه التغيرات ما يأتى :-

(١) بدء الشعور بالذات وبمركز الفرد كعضو فى الهيئة الاجتماعية ، فبعد أن كانت الطفلة فى طفولتها لا يهمها سوى إشباع رغباتها بصرف النظر عما يقوله المجتمع عنها أصبحت الفتاة البالغة التى تقدر رأى المجتمع كل التقدير ، وتحاول إرضاءه بكل ما تستطيع ، وتحب أن تسمع المدح والثناء لأن التغيرات الجسمية والجنسية المختلفة التى تتميز بها هذه المرحلة تزيد من شعورها بذاتها ولكنها تشعر فى الوقت نفسه بضغط الحياة الاجتماعية وضرورة مواءمة نفسها لها بالتعاون وتحمل التبعة والتخلى عن كثير من النزعات الانفرادية ، وطبيعى أن تصطدم هذه التكاليف الجديدة بما تنوء به الفتاة من مخلفات عهد قوامه الأثرة والأنانية ، فإذا اتهمت

بالأنانية تأثرت ، وربما انقلب الأمر إلى ضده فضحت بمصلحتها فى سبيل الجماعة .

(٢) يظهر تطور الانفعالات الجنسية والميل إلى الجنس الأخر وحبه ، ومما هو جدير بالذكر أن كثيراً من الفتيات في مبدأ دور المراهقة تقعن فى حب من هم أو هن أكبر سناً منهن ، فتحب الفتاة معلمتها أو معلمها ، وهذا الحب يكون مختلطاً بشئ من الإعجاب ، وهو حب خيالى أكثر منه عملياً لأنه حب للصفات الجنسية ، وهذا من مظاهر تطور الحب ، من حب الوالدين إلى الحب الحقيقى للجنس الأخر ، وهذا سبب هيام الفتيات بنجوم السينما لأنه هيام بصفات الرجولة التى تتمثل فيهم .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الخوض فى المسائل الجنسية مع حديثات البلوغ يحدث اشمئزازا لديهن ويمكن تشبيهه بالهبوط من عالم الخيال إلى عالم الواقع ، ولذلك تنفر الفتاة إذا عرضت عليها أمها الزواج ... ويجب أن يحذر الوالدان ابنتهما من التعلق بفتاة مثلها وأن يبينا لها أن هذا شذوذ يجب أن تبتعد عنه ، ويجب أن يعلم الوالدان أن ظهور هذه التطورات الجديدة فى الانفعالات حتمى ، ولا يستطيعان منعها ، بل يستطيعان منع مظاهرها الخارجية فقط .

(٣) يظهر الميل إلى اتخاذ الصديقات اللائى تستمر صداقتهن غالباً مدة طويلة فى حياة الفتاة ، ولذلك يجب أن يبحث الوالدان عن حقيقة هؤلاء الصديقات بدون أن تشعر ابنتهما ، وينصحاها بالإبتعاد عنهن إذا كن سيئات الخلق ، أو لسن على مستواها الاجتماعى .

(٤) يظهر حب فائق لعظماء الرجال والأبطال الذين يمجدهم الناس ، ولذلك يجب أن تعرض عليهن صور أبطال الإسلام وبطلات الإسلام اللائى كان لهن دور مشهود فى نصرته ، وصور أبطال الوطنية المخلصين وصور رائدات العمل النسائى الجادات المخلصات ليتأثرن بهم .

(٥) يظهر الميل للتضحية بالنفس فى سبيل الجماعة التى تنتمى إليها ، ويجب على الوالدين أن يراقبا ابنتهما ويوجهاها دائماً نحو الطريق الصحيح .

وهذه الميول يمكن إرجاعها إلى الانفعالات الاجتماعية ، وما دامت الفتاة تحب الحياة الاجتماعية ، وتجد متعة فى الاشتغال بها فيجب على أبويها أن يمداها بالنصائح اللازمة التى تجعل سلوكها فى المجتمع قريباً ما أمكن من الكمال ، وتعودها العادات اللازمة لذلك . . . وكلما اتسع الأفق الاجتماعى أمام المراهقة تنبهت حياتها العقلية ، وتأثرت بالجديد من الأفكار والمعرفة ، وأدركت أن هناك مقاييس للحياة ، وأخرى للتفكير ، وأخرى للسلوك ، ربما تختلف عن تلك التى تتبعها أسرتها ، والتى كانت تظن أنها المقاييس المثالية .

ويترتب على اهتمام الفتاة بالأمور الاجتماعية أن تبدأ تفكر فى مركزها بالنسبة لغيرها من أفراد الهيئة الاجتماعية ، فيقودها هذا إلى التفكير فى مستقبلها وفى المهنة التى ستتخذها لنفسها . وهى فى اختيارها لمهنتها تزن الأمور والمهن ، وتضع نفسها فى الموضع الذى تظن أنه يليق بها ، ولكنها ليس عندها الخبرة اللازمة ، فتنظر إلى الوظيفة نظرة مشوبة بحب الظهور من غير تقدير للظروف الاقتصادية والمالية ، ولذلك يجب أن يفيدها والداها بخبراتهما عندما تختار وظيفتها .

(٦) يظهر حب الطبيعة والموسيقى والفنون والشعر ، ولو بواحد منها ، ولذلك يجب القيام بالنزهات الخلوية ، وتشجيع الفتيات على حب هذه الفنون ، لأنه دليل على الانفعالات الجمالية التى تظهر بشكل جديد وهو تربية جمالية للفتاة .

(٧) تمتاز هذه المرحلة بأن الفتاة تتجنب جهد طاقتها الإدلاء باقتراحاتها كما كانت تفعل وهى طفلة .

(٨) أن الأفكار التى تتشبع بها ، والتى تتلقاها من أساتذتها تؤثر فيها تأثيراً أعمق مما يفطن إليه .

(٩) تصبح المراهقة شديدة الحساسية أمام الأحكام التى تصدرها عليها رفيقاتها، وما توجهنه إليها من نقد ، وتدرك أنه يجب عليها أن تتبع قواعد الجماعة التى تربط المجتمع الذى تعيش فيه .

(١٠) تتركز جهودها فى كثير من المجالات الجديدة ، كالتقدم فى الدراسة ، وإنشاء الصداقة والبراعة فى الألعاب الرياضية .

وإن أهم نصيحة نسديها للوالدين هى أن ينزلا إلى مستوى ابنتهما ، ويحاولا فهم دوافعها إلى العمل ، ويهيئا لها فرصة إرضاء هذه الدوافع بالطريقة التى ترضى المجتمع ، وتفيدها فى حياتها الحاضرة والمستقبله ، وألا يحاولا تربيتها بالإكراه والإهانة لأن هذا يصطدم مع ميولها الذاتية ، وأن يعطياها الحرية المنظمة .

ويمكن التعبير عن هذه التغيرات بأن دور المراهقة هو الدور الذى تولد فيه شخصية الإنسان .

تربية المراهقة

إن أساس تربية المراهقة يوضع عادة أثناء الطفولة ، ففي ذلك الدور (دور الطفولة) تبدأ عادات خاصة في التكون ، فإذا تعودت الطفلة الاعتماد على النفس ومواجهة الصعاب عندئذ استمرت معها تلك العادات في دور المراهقة ، وأمكنها أن تقف على قدميها إذا ما فارقت أهلها عندما تكبر ، أما إذا عاملها أبواها في صغرها كأنها ملكة بحنوهم الشديد عليها فإنها تجد صعوبة عند فراقهم فيما بعد، وتختلف الفتيات في قدرة تغلبهن على ذلك نظراً لاختلاف التربية . . . ويمكن تعويد الفتاة الاعتماد على النفس بأن نمنع عنها المعونة إذا كان في استطاعتها الاستغناء عنها ، فمثلاً إذا كانت تستطيع أن تمشي على قدميها فالواجب ألا نكلف الخدم بحملها وإن صرخت طالبة ذلك ما دامت قدماها سليمتين ، ومع ذلك لا نحرمها من معونة أبويها إذا اقتضت الظروف ذلك .

وليعلم الأبوان أنهما لن يظلا بجوار ابنتهما طول حياتها ، ولن يشتركا معها في تذليل جميع الصعاب التي تصادفها في حياتها . إن صعوبة التخلص من عادات الطفولة والتدليل تكون أعظم مع الطفلات اللاتي ليس لأبويهن غيرهن ومع ضعيفات البنية ، وأكبر عامل في ضعف تربية مثل هؤلاء الطفلات في العادة هو الأم التي ترفض أن تذهب بنتها بعيدة عنها عملاً بدافع الأمومة الغريزي ، سواء علمت بالنتائج الوخيمة التي تترتب على ذلك أم لم تعلم ، وهذا الموقف يحدث تغييراً في خلق البنات ، ويجعلهن غير كاملات النمو النفسي .

ومن أهم ميزات المراهقة من الوجهة النفسية والخلقية نزعتها إلى الاستقلال في التفكير والحكم ، وعدم التأثر بالإيحاء والاستهواء ، فنزعتها الفردية الاستقلالية تزداد ، كما تزداد قدرتها على التفكير ، ومرونتها واستعدادها لمطابقة النظام

الاجتماعي والتمشي معه ، وهذا يحدو بها إلى الرغبة في الإبتكار ، وعمل شيء ينسب إليها تظهر فيه مقدرتها الخاصة بدلاً من مجرد التقليد والابتكار .

ولذلك تجاهد الفتاة في التحرر من قيود الأسرة التي تصبح في نظرها ثقيلة لا تحتمل ، وتصبو إلى الاستقلال المفرط والاعتداد الشديد بذاتها إلى درجة قد تحملها على التمرد على والديها ، كما تعمل على أن تخلق لنفسها كياناً خاصا بها كأن تكون لها حجرة خاصة تدعو إليها صديقاتها ، ولذلك يجب أن نترك لها شيئا من الحرية والاستقلال في آرائها وحركاتها ، وفي تنظيم أوقاتها وعملها وفي تصريف أمورها التي يمكنها الاستقلال بها مع توجيهها ومراقبتها وتنبيهها إلى الخطأ إذا ظهرت بوادره ، كما نطلق لها قدراً معقولاً من الحرية المقترنة بالتبعات لما تقوم به من أعمال ، فنكون بهذا قد أعناها على إرضاء حاجاتها وعلى تدعيم شخصيتها ، إذ ليس كالحرية وتحمل التبعات شيء في بناء الشخصيات .

وتحب المراهقات الرحلات إلى الأماكن ذات الأهمية التاريخية أو الجغرافية أو الجمالية كالآثار وحدائق الزهور وغيرهما فهذه كلها بالإضافة إلى إذكائها للسرور والشوق تفيد المراهقة وتوسع مداركها ، وتشعرها بأنها في موقف الباحث الذي يستقي الحقائق من منابعها الأصلية ، وكل تلك الطرق ترضي النزعات الفردية الاستقلالية التي تزداد قوتها الحيوية الدافعة وقت المراهقة ، ولذلك يجب على الوالدين أن يشجعاها على هذه الرحلات ، والأفضل أن يصاحباها إذا أمكنهما ذلك ليفيداها بخبراتهما .

وتزداد حيوية الغرائز الاجتماعية ونشاطها في دور المراهقة ، فيزداد ميل المراهقات إلى الألعاب الجماعية ، والأعمال التي تستلزم تعاون بضعة أفراد ، وإلى تأليف الجمعيات ، ولا شك أن هذه أول فرصة تحاول فيها الفتاة أن تخبر

كنه الحياة الاجتماعية وتزج بنفسها فيها ، وكل ذلك يمهد الطريق لاشتراك الفتاة في الحياة الاجتماعية ، فضلاً عن أنه يكون مصدراً للسرور أثناء الدراسة ، والإقبال على المدرسة ونشاطها لاتفاقها مع ميولها ونزعاتها الطبيعية .

ولا شك أن حرص الأبوين على تهيئة أنواع اللعب المختلفة ، وبث الرغبة في الفتيات لتنشطن وتتحركن من أهم العوامل التى تساعد على إبعاد اهتمامهن عن الدوافع الجنسية القوية أثناء مرحلة المراهقة ، لأن هذه الدوافع تكون مؤذية وضارة غير صحية إن كبتت ولم تجد الفتيات وسيلة أخرى تركزن فيها اهتمامهن ونشاطهن .

وإن كلاً من الأعمال الفردية والاجتماعية لعظيمة القيمة فى التربية الخلقية للمراهقات ، تلك التربية التى تفوق فى قيمتها كل ما تحصله الفتاة فى المدرسة، فهذه الأعمال يجب ألا ينظر إليها كوسيلة لجمع المعلومات فقط ، بل يجب أن تستغل فى سبيل تقويم أخلاق الفتيات وتدعيمها ، وإعدادهن للحياة السعيدة الكاملة الفاضلة .

والتربية العلمية وحدها خطر لأنها قوة تستخدم فى الشر أو فى الخير ، والتربية الخلقية هى التى توجهها نحو الطريق المحمود ، ولذلك يجب على الوالدين أن ينصحا فتاتهما بأن تسخر علمها فى ما يعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع ، ويحذراها من توجيهه نحو الشر .

والمواقف الجوهرية التى ينبغى على الوالدين أن يتخذاها لينجحا فى معاونة ابنتهما على الاستقلال فى مرحلة المراهقة هى :

(١) أن يكون سلوك الوالدين مرشداً لبناتهن وهادياً لهن .

(٢) أن تستبدل بفكرة التحكم القديمة محاولة الظفر بتعاون الفتيات ، فالفتيات اللائى توجهن فى صبر توجيهاً سليماً واضحاً مشجعاً ، وترشدن فى أناة إلى أنواع من السلوك الحميد تحققن نجاحاً أفضل من الفتيات اللائى تتلقين توجيهاتهن وإرشاداتهن فى أوامر سريعة مبهمة تثبط الهمم .

(٣) وأن تعطى الفتاة الحرية كلما تقدمت فى السن .

(٤) أن يوضح المطلوب للفتاة ليكسب الوالدان احترامها فتحسن الاستجابة لما يطلب منها .

(٥) ينبغى أن يتفق الأبوان على وسائل معينة تمليها خطة مشتركة يتعاونان على وضعها فى معاملة الفتاة حتى لا تشعر بالاضطراب والتأرجح بين الجذب والدفع مما يؤثر على شخصيتها .

التربية الجنسية

المقصود بالتربية الجنسية دراستها دراسة علمية مبنية على الأبحاث التى وصل إليها الأطباء وعلماء النفس والاجتماع ، وإذا كنا نعلم فتياتنا شيئاً عن الأمراض التى تصيب الإنسان فيجب أن نعلمهن أيضاً شيئاً عن الأمراض التناسلية لأنهن معرضات لها ، ومعرفتهن لها تفيدهن فى الوقاية منها .

ويرى المربون وعلماء النفس أن البدء فيها يجب أن يكون عند أول سؤال للطفلة فى هذا الموضوع ، وهى لا تزال تسأل حتى تحصل على قدر من المعلومات عن هذا الموضوع ، وعلى الأخص إذا أجيبت أسئلتها بصراحة وأمانة علمية ، وهى تتقبل الحقائق الجنسية حينئذ مثل تقبلها للحقائق العلمية الأخرى .

وينصح المربون بأن أحسن سياسة تتبع نحو المسائل الجنسية هى سياسة الصراحة وعدم اقترانها بالخوف أو الانفعالات القوية ، بل اعتبارها شيئاً عادياً ، وحقيقة علمية كغيرها من الحقائق . . وينعى المربون موقف الأبوين اللذين تثور ثائرتهما إذا ما أثير موضوع جنسى ، أو اللذين يعلوهما الحياء أو الاضطراب إذا ما أثارت الفتيات حديثاً حنسياً ، لأن مثل هذا الموقف يوحى إليهن بجو غموض وإبهام وتستر ، ولا يمنعهن عن متابعة الموضوع إما سراً أو جهراً . . . والأفضل الاعتدال واعتبار الموضوع كغيره من الموضوعات الصحية ، وتفهيم الفتيات أن الغرض من مناقشة هذا الموضوع ليس مجرد اللذة والاستمتاع ، وإنما تزويدهن بالمعلومات التى تمنعهن من الوقوع فى الضرر و الاستعداد للحياة الزوجية المستقبلة، ويجب على الأم أن تعلم بنتها كيفية العناية بنفسها من الوجهة الجنسية حتى تسعد بزواجها.....

وقد يظن البعض أن إثارة الكلام فى المواضيع الجنسية مع الفتيات تفتح أعينهن لها ، وتركز انتباههن عليها ، فتندفعن إلى الانغماس فيها ، . . وهذا خطأ لأن الفتيات منتبهات إليها بما يشاهدنه فى التلفاز والسينما والصحافة وغيرها وبقوة الدافع الجنسى . . . ولكن إثارة هذا الموضوع مع الوالدين تعطيهما فرصة تزويد الفتيات بالنصائح والإرشادات التى تضمن عدم انغماسهن فيها عن جهل ، كما أن الصراحة تعطى الوالدين فرصة لمعرفة من تكون سهلة الغواية فتحاط عندئذ بالعناية.

وهناك عنصر هام لاستثارة الفضول الجنسى وهو الغموض والإبهام ، فكلما وضحت الأمور الجنسية للفتيات تصبح موضوعاً عادياً لديهن ، والامتناع عن الإجابة عن أسئلتهن يشعرهن بأن هناك سراً يحاول والداهن كتمانه عنهن فيزيدهن رغبة فى الاستطلاع ، كما يترك فى نفوسهن أثراً ولو قليلاً من البغضاء لشدة رغبتهن

فى الاستطلاع ، وعلى الأخص إذا رفض طلبهن فى شىءمن العنف محاولة لإسكاتهن والتخلص من ثرثرتهن ، . . . كما أن الكذب عليهن للتخلص له أثر خلقى سيئ إذ يعطيهن نموذجاً للكذب ، فيستخففن بكل النصائح التى تعطى لهن عن فضيلة الصدق بعد ذلك ، فلم نستفد من الكذب سوى الإضرار بهن خلقياً ، وهدم النصائح التى تسدى إليهن . . . وليكن معلوماً للوالدين أنهما إذا لم يصارحا بناتهما بالحقائق الجنسية فسوف تستقى معلوماتها من الكتب الرخيصة ومن زميلاتها أو الخدم ، ومن ذوى الأغراض الفاسدة .

وإذا كان الوالدان يودان أن يعودا فتاتهما ضبط النفس والعادات الحسنة والسلوك المحمود ، وكبح جماح ميولها الجنسية ، وسلوك الطريق الذى لا يؤدى بها إلى الضرر فخير لهما أن يزوداها بالمعلومات الصحيحة المستمدة من علم النفس والصحة ، بدلاً من التخويف والتهديد ووصف أعمالها ودوافعها الجنسية بأنها إثم منكر وشر لأنها ستظل غير مقتنعة بالأسباب التى تدعو إلى سلوك طريق معين .

وإذا أردنا أن ننقذ الفتيات من العلاقات الجنسية غير المشروعة فقد يكفيهن أن نشرح لهن شيئاً عن الأمراض التناسلية ، ونبين لهن ضررها فى صحتهن وخلقهن، وأنها تحرمهن من الحياة الزوجية السعيدة . . . وبذلك يمكننا أن نوجد التوازن فى نفس الفتيات بين القوة الدافعة للغريزة الجنسية وبين مصلحتهن الاجتماعية والصحية ، وكذلك بين رغبتهن الوقتية وأملهن البعيد .

ومن الحقائق النفسية الهامة أن الغريزة الجنسية شديدة الصلة بكل الانفعالات والغرائز والعواطف الإنسانية الأخرى ، ومنها غريزه حب السيطرة وحب التملك، فإذا قام الحب بين فتى وفتاة يلذ لكل منهما أن يشعر بأنه ملك للآخر وتحت

سيطرته . . . وعلى ذلك إذا وجد الأبوان ابنتهما تحب شخصاً لا يوافقان على زواجه بابنتهما لعدم كفاءته لها فيجب عليهما أن يتبعا معها طريقة الإقناع بعدم كفاءته لها ، وأن يتركا طريقة التحكم والبطش لأنها ربما تأتي بنتيجة عكسية ، ويجدان أنفسهما في موقف حرج ربما لا يستطيعان تحمله .

ونكرر هنا أنه يجب تزويد الفتاة المراهقة وكذلك الطفلات قبل حلول دور المراهقة بالمعلومات اللازمة التى تساعدهن على اتباع الطريقة المثلى لنموهن الصحى والنفسى من الوجهة الجنسية وتمنعهن من الوقوع فى الأخطاء التى سبق شرحها .

وفى هذه المناسبة أرى أن يمنع الاختلاط بين الجنسين فى المدارس بقدر الإمكان في هذا العصر الرهيب الذى تكثر فيه المثيرات الجنسية فى مجالات الحياة المختلفة ، وذلك حفاظاً على الأخلاقيات الإسلامية التى تدعو إلى التفريق بين الجنسين فى المضاجع بعد العاشرة ، وبعداً عن الوقوع فى الأخطاء الجسيمة.

فطام المراهقة واعدادها للحياة

يقصد بفطام المراهقة خروجها عن سيطرة أسرتها النفسية أو تخفيف القيود التى كانت تربطها بها فى وقت الطفولة ، والتحرر من سيطرة والديها الفكرية والروحية مع احترامهما والعناية بهما وأداء الواجب نحوهما لأن الظروف المنزلية التى كانت تحيط بالطفلة تصبح غير صالحة ، ومعاملة أبويها يجب أن تتلاءم مع عقليتها التى تغيرت ، لأنها تريد أن تكون فتاة مستقلة . . . وقد يصحب هذه الظاهرة اشتداد فى الانفعالات أو انحطاط فيها لأن نفسيتها وعقليتها قد تغيرتا ، وأصبحتا تتطلبان بيئة جديدة وجواً جديداً ، وتريد التخلص من العادات القديمة ،

ولذا يجب على الأبوين أن يغيرا عادتهما معها تغييراً يناسب الظروف الجديدة ، وإلا كانوا عقبة فى سبيل نموها النفسى الطبيعى ، وإلا كانا مصدر تعب وآلام نفسية عظيمة لها ، لذلك يجب أن يسمحا لها باتخاذ أكبر قدر من القرارات الشخصية حتى تكتسب هذه العادة ، أما إذا لم يسمحا لها بذلك فسوف تقع فى كثير من الاخطاء ، وتصدر قرارات تنطوى على الحماقة إذا ما حاولت تأكيد استقلالها في المستقبل ، كما يجب أن يعلما أن المحاولة والاستقلال فى الرأى تقومان مقام الطعام والشراب للطفلة اليافعة ، فهى فى حاجة إلى الذهاب إلى المدرسة وإلى الاعتماد على نفسها عندما تبدأ في استذكار دروسها واختيار ثيابها وقضاء وقت فراغها ،ويوصف هذا بالفطام من المنزل ، وينشأ النزاع بين المراهقات ووالديهن على مسائل مثل وجوب خضوعهن لرأى الوالدين في ما يختص بمظهرهن الشخصى وآدابهن بسبب ثورتهن على التقاليد ورفضهن الطاعة لما لا يقتنعن به .

ومن مظاهر عدم الفطام : كثرة طلب الفتاة النصيحة والمعونة من الغير ، والحنين إلى الخطيرة العائلية ، إذا ما اضطرت إلى مفارقتها ، وعدم الاعتماد على النفس ، وعدم الاستقلال في الرأى ، وعدم الجلد فى مواجهة الصعاب . . .

والفرق بين الفتاة المفطومة وبين غير المفطومة أن الأولى تنتظر المساعدة والعطف فى أوقات محدودة ، ومن أشخاص معدودين ، بينما الثانية تنتظر العطف فى كل زمان ومكان ، ومن أى شخص بيده السلطة يكون مركزه مشابهاً لمركز الأب ، كما تنتظر منه المحبة والسهر على راحتها من نفسه .

وليعلم الأبوان أن المراهقات مع حاجتهن إلى الحرية والاستقلال الفكرى والنفسى يجب أن تمتحن هذا الاستقلال تدريجياً تمشياً مع نموهن العقلى والنفسى، وأن يكون تحت الإشراف فى أول الأمر حتى إذا وجدت منهن القدرة على

الاستقلال والاعتماد على النفس حُمِّلن المسئولية قدر المستطاع .

وسبب وجوب فطام المراهقة أن أبويها لن يعيشا أبد الدهر ، وأن تقييدها بقيود متينة تربطها بأبويها يقف فى سبيل تقدمها ويقضى عليها بالفشل ، وأهم الأسباب أن يجعلها قادرة على مواجهة الصعاب فى مجتمع قد لا تجد فيه العطف والمعاونة اللذان تنتظرهما من جميع أفراده .

❑ ❑ ❑

ثالثا ...

الانثى زوجة

بعد مرحلة المراهقة يبدأ التفكير فى الزواج ، وهو سنة الحياة وشريعة الله التى فرضها على القادرين ليحفظ بها دوام الجنس على ظهر الأرض إلى أن تقوم الساعة ، وهو ضرورة فطرية من الضرورات التى طبع الله سبحانه وتعالى عليها جميع ما خلقه من كائنات ، ولذلك سنتحدث عنه الآن . وسوف يكون الحديث موجهاً إلى الأنثى نفسها لا إلى والديها، وأول ما يجب أن تعلميه هو :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أنْ خلق لكُم مِنْ أنفُسكُمْ أزْوَاجاً لِتسكُنـوا إِلَيْهَـا
وَجَعَلَ بَيْنكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِك لآيَاتَ لقَـوْمٍ يَتفكَّرُون﴾

« سورة الروم : ٢١ »

الزواج

تتجلى حكمة الزواج فى قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾ « الروم :٢١ » وفى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمَ مِنّ الْطَيِّبَات﴾ « النحل: ٧٢ » والمتأمل فى هاتين الآيتين يقتنع بحكمة الله تعالى فى خلقه ، وفى تنظيم هذا الكون .

فالإنسان ثنائى التكوين ، له جانب حيوانى تحكمه قوانين الطبيعة ، وجانب روحى هو معدن الخير فيه ، وكان من آيات الله أن جعل من هذه الثنائية ضربين من الازدواج بين أفراد الإنسان : ضرب حسى وضرب روحى : فهو من حيث حيوانيته زوجان : ذكر وأنثى يختلفان فى التقويم البدنى كل الاختلاف ، فالزوجية هنا بين حس وحس . . . وهو من حيث جوهره الروحى زوجان : إنسان وإنسانة، يتحد جوهر الإنسانية فى كل منها ، فالزوجية هنا بين إنسانية وإنسانية .

فالإسلام يعتبر الزواج بالنسبة إلى الفرد ضررة فطرية لسكن النفس ، وبالنسبة إلى المجتمع مهاداً يدرج منه الحب والتراحم والإيثار ، وبالنسبة للنوع البشرى سبيلاً إلى حفظه بالتناسل ، وبالنسبة إلى هؤلاء جميعاً سبيلاً إلى العفة الاستقرار والشرف والكرامة العامة والخاصة ، ولهذا كان الامتناع عنه امتناعاً عن جميع

هذه المزايا وكان الممتنع عنه إنساناً جهل نفسه ورسالته ، ولهذا برئ الرسول عليه السلام منه فقال : « مَنْ كَانَ مُوسِراً لأنْ يَتَزَوَّجَ ثُمَّ لَمْ يَتَزَوَّجْ فَلَيْسَ مِنّى ».

وقد ظنت بعض المجتمعات القديمة أن الصلات الجنسية لا ترشح صاحبها للصفاء الروحي والتقرب إلى الله ، ولذلك التزم رجال الدين فيها لونا من الرياضة الروحية وهو الامتناع عن الزواج لتكتمل لهم دواعى الصفاء المنشود ، فجاء الإسلام وأبطل هذا وحرمه ، وجعل سبيل الصفاء والتطهر هو الزواج نفسه لا الامتناع عنه فقال عليه السلام : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَىَ اللَّهَ طَاهِراً مُطَهَّراً فَلْيَتَزَوَّجِ الحَرَائِرَ » .

وليكن معلوماً أن المسيحية السمحة حين ظهرت لم يكن فى تعاليمها أن يمتنع ذوو الوظائف الدينية عن الزواج ، لكن كبارهم ما لبثوا أن ابتدعوه لأنفسهم اختيارا. . . وفى أوائل القرن الرابع الميلادى أصدر مجمع « الفيرا » فى أسبانيا قراراً يجعل الزواج محرماً على كبار رجال الدين ، فكثر الرهبان ، وكثرت الأديرة والصوامع فى أطراف العمران وفى رءوس الجبال يطلبون الانقطاع إلى الله ، وتصفية النفس والتخلص من الشهوات بالبعد عن دواعيها ومثيراتها . . . وعندما ظهر الإسلام وهم على ذلك برئ منه لمخالفته طبيعة الإنسان وأسباب العمران ، وأعلن أنه ليس من الله ، ونزل قوله تعالى :﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ « الحديد : ٢٧ » وجعل ذلك محظوراً على كافة المسلمين لأنه نكول عن سنة الحياة الصحيحة .

وهناك نوع من الناس يمتنع عن الزواج لكى يخوض فى ما يشاء من اللذات المتجددة ، فنبذوا حياة الأسر ، وركنوا إلى المخاللة . . ولاشك أن ذلك يفضى إلى قلة النسل ، وضعف الأمة فى مقوماتها العددية ، ومقوماتها المعنوية ، وقد

ظهرت آثاره فى بعض البيئات الأوروبية ، وأنذر علماء الإجتماع أممهم بانهيار الأخلاق ، وانحلال روابط المجتمع ، وانقراض النسل ، ولقد وقف المارشال بيتان غداة احتلال الألمان فرنسا فى الحرب العالمية الأخيرة ينادى قومه إلى الفضيلة ، ويعزو الهزيمة إلى هجرة حياة الأسرة فكان مما قاله : « زنوا خطاياكم فإنها ثقيلة فى الميزان ، إنكم تبذتم الفضيلة وكل المبادىء الروحية ، ولم تريدوا أطفالاً ، فهجرتم حياة الأسرة ، وانطلقتم وراء الشهوات تطلبونها فى كل مكان، فانظروا إلى مصير قَادَتْكم إليه الشهوات » .

قانون الزوجية

اعلمى أن للزوجية قانوناً وضعه الله لها لكى تنجح فى تأدية رسالتها ، وهذا القانون يتمثل فى الآية المذكورة فى أول الموضوع ، وهى تشتمل على شيئين :

(١) أن الله خلق الأزواج من أنفس الرجال ، والمراد بالأنفس الروح والخصائص المعنوية التى نظر إليها الإسلام لا إلى مقومات الحس ، فالزوجية فى الآية زوجيه روحية بين إنسان وإنسانة .

(٢) أن السكن المراد هو السكن الروحى لا الجسمانى كما فسره الإمام فخر الدين الرازى فقد قال : إن كلمة (إليها) فى قوله (لتسكنوا إليها) تدل على أن السكن سكن قلبى أى روحى ، لأنه يقال (سكن إليه) للسكون القلبى ، و (سكن عنده) للسكون الجسمانى ، وكلمة (إلى) جاءت للغاية وهى القلوب ، وهذا يدل على أن خصائص إنسانية الرجل هى المحتاجة إلى أن تسكن إلى خصائص إنسانية المرأة ، ويدل على أن الزوجية زوجية روحية ، فحقيقة الزواج أنه زواج إنسانية إنسان بإنسانية

إنسانة ، واقتران البدن بالبدن وسيلته ورمزه المعبر عنه فى عالم الحس . وثمرة اقتران الإنسانيين هى المودة والرحمة ، وثمرة اقتران الجسدين هى النسل ، ولذلك نجد بين القرينين من التراحم مالا نجده بين ذوى الأرحام لأن هذا يقوم على جمال الروح لا على الجمال الظاهر ولو كان بينهما مجرد الشهوة - وهى غير دائمة فى نفسها - لكان بينهما كل ساعة قران وطلاق .

فالإمام الرازى يقرر أن هذا الازدواج الروحى إنما هو قانون من أمر الله ، يعمل من وراء المادة فى ضمير الإنسان فيثمر روحياً ما ليس من شأن قوانين الطبيعة أن تثمره وهو المودة والرحمة .

ما صفات الشخص الذى تتزوجينه ؟

ما دام الزواج اقتران صفات بصفات ، فأساس قبول من جاء يخطبك أو رفضه يجب أن يكون هو الأخلاق والدين . . . ومن الخطأ أن تنظرى إلى الغنى والجاه والمنصب ونحوها على أنها الأساس فإنها أمور زائلة .

ولقد وضع الإسلام الحكيم أساس المفاضلة الإنسانية بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وعلى هذا فمن كان ذا خلق جميل ، ودين عميق ، وثقافة عالية ، وشخصية محمودة فهو كفء لأفضل أنثى ، وفى مستوى هذا الأفق الرفيع يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلاَّ تَفعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » .

ويجب أن تعلمى أنه لابد من أخذ رأيك فى الزواج فقد قال عليه السلام :

« لاَ تُزَوَّجُ الأَيِّمُ حَتَّى تُستَأمَر ، وَلاَ الْبِكْـر حتىَّ تُستَأْذَنَ » والأيـم هي الثيب ، والاستئمار طلب الأمر . فإذا زوجت الثيب بدون أمرها فالعقد باطل ، وإذا زوجت البكر بدون إذنها فهي بالخيار ، إن شاءت أمضت العقد ، وإن شاءت أبطلته .

وهناك أيضاً صفات يجب أن تتحلّى بها لتكوني أهلاً للزواج قد حددها الرسول عليه السلام في قوله : « خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ ،وَإِذَا غِبْتَ عَنْهاَ حَفِظَتْكَ فِي مَالِكَ وَنَفْسِهَا » ، وتلا بعدها قوله تعالى : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلغَيْبِ بِماَ حَفِظَ اللَّهُ﴾ « النساء : ٣٤» ، والمراد بالقنوت السكون والطاعة لله تعالى ولأزواجهن بالمعروف ، وقال الأستاذ الإمام : المراد حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين ، ويدخل في هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة ، ومن باب أولى المحافظة على العرض ، فقد قال عليه السلام : « تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ » والودود هي المودودة المحبوبة لما هي عليه من حسن الخلق ولطف التودد . ومن البديهي أن أفضل الإناث من تتوفر فيهن من خصائص النفس ، ومزايا الروح ما يجعلها أقرب من غيرها إلى تحقيق مقاصد الزواج المعنوية والحسية على خير وجه .

ويجب أن تتثقفي بما يجب عليك كزوجة وأم وربة بيت حتى يمكنك إسعاد أسرتك . . ويجب أن يكون هناك تقارب فكري ووجداني بينك وبين خطيبك لأنه له أثره في شحذ ملكات الفكر وتعدد جوانب النفس وتنظيم الحقوق والواجبات. ولا تنسى أن إنسانية الأنثى حقيقة جمالها ، والعناية بها عنوان عقلها وكمال نفسها.

كيف تتعرفين على خطيبك ؟

شرع الإسلام الخِطْبة قبل الزواج ليتعرف كل من الخطيبين على الآخر حتى يتم الزواج على أساس اقتناع كل واحد منها بالآخر ، وقد قال الرسول عليه السلام « إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ المَرْأَةَ فَقَدَرَ أَنْ يَنْظُر مِنْهَا بَعْضَ مَا يَدْعُوهُ إلى زَوَاجِهَا فَلْيَفْعَلْ » وبالتالى فإن لك أن تنظرى إليه لهذا الغرض ، ولم يحدد الرسول عليه السلام هذا البعض بل أطلقه فى حدود ما يسيغه عرف البيئة ، وهذا من سماحة الإسلام فى الخطبة ومرونته التى امتاز بها ، ويَسَّر بها لأهل كل عصر أن يعيشوا بما يلائم عرفهم وآدابهم ومصالحهم .

وقد استثنى الإسلام فى ظرف الخطبة حق النظر إلى المرأة الأجنبية للرجل حتى يقبل كل من الطرفين على الزواج بنفس مطمئنة . . وما دام الأمر محدوداً بتقاليد البيئة فللخاطب فى عصرنا الحالى أن يراك فى الملابس التى تظهرين بها لأسرتك وأقاربك ، وله أن يصحبك مع أبيك أو أحد محارمك وأنت بزيك الشرعى إلى ما اعتدت الذهاب إليه من الزيارات أو الأماكن المباحة ليعرف عقلك وذوقك، وملامح شخصيتك واتجاهاتك الأخلاقية ، ومدى لباقتك فى تصرفاتك فإن ذلك يكون سبباً فى التوفيق بينكما . . . ولا تتبعى ما يفعله المتزمتون الذين لا يبيحون للخاطب رؤية خطيبته ، ولا تتبعى الذين يبيحون للخاطب كل شئ بمجرد الخطبة، ثم يترتب على ذلك عواقب سيئة يندمون عليها . . فلا تعقدى قرانك على خطيبك إلا بعد أن تدرسيه وتطمئنى إلى دينه وخلقة وعقله ، ويظهر لك جده فى الزواج، وصدق رغبته فيه ، ولا تمكنيه من مسك أو تقبيلك إلا بعد عقد القران ، ولا يقربك إلا بعد الزفاف حتى لا تندمى على تسرعك فى ذلك إذا لم يتم الزواج .

من احق بمهرك ؟

اعلمى أن المهر من الحقوق التى أوجبها الإسلام للمرأة ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ النساء :٤ ، والصدقات المهور ، والنحلة كلمه فيها معنى العطاء المفروض ، قال الإمام القرطبى : فالصداق عطية من الله تعالى للمرأة ، وقد جعله الإسلام حقاً خالصاً للمخطوبة ، وذلك بأن أضاف الصدقات إلى ضمير النساء . . وعلى هذا فليس لأبيك أو وليك أن يأخذ منه شيئاً ، قل أو كثر ، فهو ملك خاص بك تتصرفين فيه بمحض مشيئتك بما ترين أنه الخير لك ، وكذلك ليس لخطيبك أن يأخذ منه شيئاً .

وهنا فرق بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية التى لم تظفر بمثل ذلك إلى اليوم، فإن العرف مازال يجرى عند الغربيين على ما كان عليه أيام الرومان واليونان القدامى ، الذى يوجب على والد الفتاة أن يعد لها مهراً « دوتة » تقدم لمن يخطبها إذا ما تم الزواج ، فتصير تلك الدوتة حقاً خالصاً للزوج ، ولاحق لها هى فيه ، وفى بعض النظم هى أمر مشترك بينهما .

من يوثث بيت الزوجية ؟

اعلمى أنه ليس لخطيبك أن يجبرك على أن تتجهزى له بشىء من المهر قل أو كَثُر ، إلا أن تطيب نفسك به ، وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئًا﴾ « النساء: ٤ » . . . . . فما يفعله كثير ممن يخطبون من إرهاق أهل المخطوبة بشراء ألوان الأثاث والثياب مما يضطرون معه إلى إنفاق مثل أو أمثال الصداق ، وقد

يستدينون لذلك ، فهذا الجهاز الذى فوق طاقة أهلك ولم تطب نفسك به لا بركة فيه ، وهو من قبيل أكل أموال الناس بالباطل . . وما جرى عليه العرف فى بلادنا من التجهيز بالصداق أو بما يزيد عليه لاحرج فيه ما دامت نفسك قد طابت بذلك وما دام الخطيب لم يضطرك إليه .

وخير الجهاز ما التزم الناس فيه يُسْر المئونة ، واجتنبوا فيه التزيد على ما تدعو الحاجة إليه ، فهو أرضى لله ولرسوله عليه السلام ، وأحفظ للقلوب من أن يدخلها سم الاختيال أو لعنة الإرهاق .

كيف تكون علاقتك مع زوجك ؟

لقد نظم القرآن الكريم العلاقة بين الزوجين على قاعدة من قوله تعالى :(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وهى قاعدة تذهب فيها المرأة بطائفة من الحقوق والواجبات ، ويذهب الرجل بمثلها ، لأن الحياة الزوجية لا تنجح بدون معرفة تلك الحقوق والواجبات . فما هى حقوق وواجبات كل منكما؟

حقوق الزوج على زوجته

قد أوجزها الإسلام فى أمور ، أهمها ما يأتى:-

(١) طاعته كلما دعاها إلى فراشه ، فإذا امتنعت كانت عاصية لله ورسوله ، فقد قال عليه السلام « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فِرَاشِه فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حتى تُصْبِحَ » . ، ولتنظيم هذا الحق قرر الإسلام أنه لا يجوز للمرأة أن تصوم شيئاً من النفل وزوجها حاضر

إلا بإذنه ، فقد قال عليه السلام : « لاَ تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ يَوْماً مِنْ غَيْرِ رَمَضَانَ إلا بإذْنِهِ » .

(٢) أن تحفظه فى ماله إذا غاب عنها بأن تحافظ على ما استودعه إياها منه ، وقد جعل الإسلام هذا فرضاً عليها .

(٣) أن تحفظه فى نفسها إذا غاب عنها ، فقد قال عليه السلام فى حجة الوداع: « إنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حقاً ، ولِنِسَائِكُم عَليكُمْ حقاً . . فأمّا حَقُكُم على نِسَائِكم فلا يُوطِئْنَ فرشكمُ مَنْ تَكْرَهُون ، ولا يأذَنّ فى بُيُوتِكم لمَنْ تَكْرَهُون » فإن من مقتضى المودة أن يكون هواها مع من يحب زوجها، فلا تأذن لأحد يكرهه بدخول بيته ، أما من لا يكرهه فلا إثم عليها فيه ، فإن من الناس من اعتاد أن يسمح لإخوانه بدخول بيته .

أما الفاحشة والخلوة فهى حرام على الزوجة سواء رضى بها الزوج أو كره غاب عنها أم حضر .

(٤) ألا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فقد خرج رجل إلى سفر وطلب من امرأته ألا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها فى الأسفل فمرض ، فأرسلت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام تستأذن فى النزول إلى أبيها فقال لها عليه السلام : « أطِيعى زَوْجَكِ » فدفن أبوها فأرسل عليه السلام إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

وقال إبن عباس : أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى إمرأة أيّم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ فقال عليه السلام: «إنَّ مِنْ حَقّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوجَةِ إذا أذَاهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِها وَهِىَ عَلَى

ظَهْرِ بَعِيرٍ لاَ تَمْنَعُهُ ، ومِنْ حقِّهِ ألاَ تُعْطِى شيئاً مِنْ بَيْتِه إلاَ بإذْنِه ، فَإنْ فَعَلتْ ذَلِكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْها وَالأجْرُ لَهُ ، ومِن حَقِّه ألا تصُومَ تَطوُّعاً إلاَ بإذنِه ، فإنْ جَاعَتْ وعَطِشَتْ لَمْ يُتَقَبَّلْ منها ، وإنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إذْنِهِ لعَنَتَهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إلَى بَيْتِهِ أو تَتُوبَ » .

حقوق الزوجة على الزوج

(١) النفقة ، فالزوج ملزم بنفقة زوجته من حين عقد الزواج لقوله عليه السلام: « وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » وذلك فى حدود مقدرته المالية لقوله تعالى : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنّ سَعَتِهِ وَمَن قُدِر عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لاَيُكَلِفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ ماَ آتاَهَا﴾ « الطلاق : ٧ » ، ولا تلزم الزوجة أن تنفق على نفسها إلا أن تتطوع به عن طيب نفس .

واعلمى أنه إذا لم ينفق عليك زوجك فى حدود مقدرته المالية فلك أن تطالبى بذلك ويحكم عليه به .

(٢) إحسان العشرة لقوله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف ﴾ « النساء :٩ » وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُضارُّوهُنَّ لِتضَيِّقُوا عَليْهِنَّ﴾ « الطلاق : ٦ » فمن استقام على ذلك مع زوجته فهو المسلم المقيم حدود ربه ، ومن ضيق عليها وضارَّها بسوء خلقه فليس ذلك من الإسلام فى شيء ، ولذلك قال الرسول عليه السلام : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْلِهِ وَأنَا خَيْرُكُم لأهلِى »... وقد يظن البعض أن القسوة على المرأة والخشونة فى معاملتها ضرب من الرجولة والشهامة ، وأن ملاطفتها والإقبال على مودتها نوع من الضعف،

وهذا فهم خاطئ سيئ ، لأن احترام الزوجة لزوجها وإعجابها به إنما هو أثر امتياز شخصيته بخصائص القوة ورجاحة العقل وشرف الأخلاق ، أما الشدة المفتعلة فتشعرها بخيبة أمل فى من كانت ترجو أن يملأ وجدانها إعجاباً واعتزازاً بمزاياه .

ومن حسن عشرتها ترك التجسس عليها وتتبع عثرتها ، فقد روى جابر أن الرسول عليه السلام نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم ، والأولى حسن الظن بها وإشعارها بكمال الثقة ، ومن حسن المعاشرة الترفيه عنها بما يدخل عليها السرور فيداعبها ويلاعبها بدون أن يفسد أخلاقها ويسقط هيبته عندها ، والعبرة بكياسة المرء ولطف ذوقه ، ووقوفه عند حدود الله .

ومن حسن عشرتها أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له ، فقد قال ابن عباس رضى الله عنه : إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى .

ومن مصلحة الزوجين أن يبذل كل منها جهده لإقامة حقوق الزوجية المشتركة بينهما بالتحاب والتواد والتعاون والتسامح مع الإخلاص فى ذلك كله ، فإن سعادة كل منهما رهينة بسعادة الآخر ، وخدمتهما للإنسانية لا تتم إلا به ، وكل تقصير يكون وباله عليهما معاً ، ولذلك يجب تلافيه بالحسنى والصبر والمغفرة والعفو ، وأقل درجات المعاملة بينهما تكون بالتناصف والعدل .

تكلمنا عن حقوق كل من الزوجين فما واجبات كل منهما نحو الآخر؟

إن حقوق الزوجة هى واجبات على الزوج ونضيف إليها ما يلى :-

(١) يجب أن يسلم على أهله عند دخول البيت لقوله عليه السلام : « يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عليكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ».

(٢) يجب أن يراعى شعور زوجته ويحافظ على صورتها الجميلة التى فى ذهنه،

فإذا كان فى سفر يجب أن يخبرها بميعاد رجوعه حتى لا يفاجئها فربما يجدها على صورة يكرهها ، فقد قال عليه السلام : « إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيبَةَ فَلاَ يَطرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلاً » وهذا تعبير عن حالة عدم استعداد الزوجة لزوجها .

هذا إلى أنه مطالب بالإنفاق على أسرته فى حدود مقدرته المالية ، ورعايتها دينياً وأخلاقياً ومادياً ونفسياً واجتماعياً ، وبالمحافظة عليها ، وبتوفير مقومات الحياة السعيدة الشريفة لها .

وحقوق الزوج هي واجبات على الزوجة ونضيف إليها ما يأتي :-

(١) يجب أن ترعى زوجها وتحافظ عليه ، وتعمل على ما يرضيه ، وتحقق رغباته فى المعيشة ، وتهيئ له الراحة فى منزله حتى لا يغادره ويتطلع إلى بيت آخر يحقق له ما يريد وحينئذ تندم ولا ينفع الندم .

(٢) يجب أن تعتنى بتربية أولادها ، وترعاهم نفسياً وأخلاقياً وتربوياً واجتماعياً، وتهيئ لهم السعادة الأسرية حتى يشعروا بدفء الأسرة ونعيمها فلا يتركون المنزل إلى مكان آخر لا يؤمن عليهم فيه

(٣) عدم مطالبة زوجها بما فوق مقدرته المالية حتى لا تهتز شخصيته فى البيت ما دامت قد رضيت به زوجاً ، وإذا كانت موظفة يجب أن تسهم فى نفقات البيت لأن خروجها للوظيفة يؤثر فى تأدية واجباته عليها .

(٤) عدم إيذاء زوجها أو المساس بشخصيته لقوله عليه السلام : « لاَ تُؤْذِى امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِى الدُّنيَا إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ : لاَتُؤْذِيه قَاتَلَكِ

اللهُ فَإِنَّماَ هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيناَ » .

إن التزام كل من الزوجين لحفظ شرف الآخر والعمل بما يرشد إليه الإسلام من الواجبات والآداب الزوجية هو الذى تنتظم به الحياة الزوجية ، ويعيش الناس به العيشة الهنية .

كيف تتعاملان معا ؟

اعلمى أنه ينبغى لكل من الزوجين أن يتحبب إلى الآخر بأكثر مما يجده فى قلبه استدامة للمودة ، وائتلافاً للقلب حتى تستمر الحياة الزوجية فى سعادة وهناء، بعيدة عن المنغصات .

وإذا علمت أن رباط الزوجية إنما يربط فى الغالب بين إلفين متحابين يتعاطفان بمشاعر المودة والرحمة ، وأنهما لا يلبثان أن ينخلع كل منهما عن كثير من أنانيته ورغباته ليؤثر بها ما يرزقان من ولد وجدتهما يتعاملان بقانون غير قانون العدل والمساواة والشورى ، وألفيت معالم تلك الصفات قد ضاعت فى ما يفيض بينهما من ألفة ومودة ، فقد ارتفعا إلى مستوى لا يهمهما فيه تقارض الحقوق ، ولا لمن تكون الرياسة، مستوى الإيثار والتراحم الذى يعيش به كل منهما للآخر فى مثل عاطفته ، فيساعد كل منهما الآخر ، ويعمل على راحته نفسياً وجسمياً ومادياً ، والنموذج الإسلامى لذلك ما تقوله أسماء بنت أبى بكر زوجة الزبير رضى الله عنها : كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكنت أسوس فرسه وأعلفه وأحتش له ، وأخرز الدلو ، وأسقى الماء ، وأنقل النوى على رأسى من أرض له على ثلثى فرسخ » وما كانت تعمل ذلك بقانون العدل والمساواة والشورى . بل هو محض مروءتها وفضلها ، ورغبتها فى معونة زوجها والتيسير عليه، وكل عصر له أعماله.

ولتسمحى لى أيتها الأنثى أن أتحدث معك عن العلاقات الجنسية التى بين الزوجين ، لأنها من أهم العلاقات فى الحياة الزوجية ، ويترتب عليها كثير من النتائج ، سواء كانت طيبة أو سيئة .

فيجب عليك فى المنزل أن تلبسى لزوجك الملابس التى يحب أن تلبسيها ، وأن تتزينى له وتكونى فى الصورة التى يحب أن يراك بها ، وأن تضعى نصب عينيك دائماً الحرص على إرضائه وجذبه إليك ، وأن يكون دائماً منشغلاً بك ، ولا تهملى هذه الأمور بحجة أعمال البيت والانشغال بالأولاد ، فكل هذا واجب عليك أيتها الزوجة .

ومما يزيد تعلق زوجك به ، وحبه لك أن تعملى على إشباع رغبته الجنسية وتمتعيه بها حتى لا يتزوج غيرك ممن تحققن له هذه المتعة ، أو يلجأ إلى السهرات الحمراء وسهرات الفسق والفجور التى تشبع رغباته الجنسية فتخسرينه ويصعب عليك بعد ذلك أن ترجعيه إليك ليعيش معك كما كان قبل ذلك

وإذا كانت هناك شكوى من العملية الجنسية فيجب عليك أن تبحثيها وتعملى على إزالتها ، لتستريحى منها . فقد تشعر المرأة بالألم فى العملية الجنسية ، وهذا يجعلها لا تبدى اشتياقاً للمعاشرة الجنسية ، وتنخفض حرارتها أثناءها ، وهذا كفيل بالقضاء على الرغبة تجنباً لحدوث الألم ، فتظهر فى حالة برود جنسى ، ومن أسباب ذلك :

(١) جفاف المهبل ، وهو أبسط الأمور التى تؤدى لألم الجنس ، وله عدة أسباب :

(أ) سببه الغالب هو تسرع الزوج فى إيلاج عضوه بدون تمهيد ، ولذلك

يجب أن يمهد لذلك بملاطفة الزوجة بالمداعبات الجنسية الخفيفة، فهذه الإثارة المسبقة تؤدى إلى تطرية فرج المرأة بالإفراز الملين الذى يخرج من غدد بارثولين (غدد دقيقة تحت الشفرين الكبيرين) فيسهل الإيلاج دون ألم ، وهذا الخطأ كثيراً ما يقع فيه الأزواج الجدد في شهر العسل ، فيزيد من صعوبة الإيلاج نظراً لضيق فتحة المهبل وحداثة التجربة بالنسبة للطرفين .

(ب) هذا الجفاف يرتبط بمستوى هورمون الأسترجين فى الدم ، فكلما انخفض مستواه بالجسم ضعف خروج الإفراز الملين ، لذلك يظهر بوضوح عند بلوغ المرأة سن اليأس لتوقف المبيضين عن إنتاج الأستروجين .

(ج) كثرة استعمال الكيماويات والمطهرات أثناء التشطيف ، أو الاستحمام فى البانيو بعمل الفقاقيع .

(د) يظهر أحياناً فى الفترات التى تتعرض خلالها الزوجة لضغط نفسى وعصبى . وعلاج الجفاف يكون بعلاج السبب ، ويمكن استعمال زيت ملين للمهبل مثل (زيت الأطفال) كتعويض عن الإفراز الملين للمرأة فى سن اليأس ، أو حتى يتم علاج السبب .

(٢) تشنج المهبل : وهو عبارة عن حدوث انقباض لا إرادى لعضلات المهبل عند فتحته الخارجية ، كتعبير جسمانى عن الرفض النفسى لحدوث الجماع، وبالتالى يصبح الإيلاج مؤلماً ، أو قد يتعذر تماماً لشدة الانقباضات العضلية.. وعادة تزول حالة التشنج مع استكمال الإيلاج ، لكنها قد تستمر

عند بعض السيدات طوال فترة الجماع مع استمرار الألم والتوتر وهذا التشنج له سببان -

(ا) أسباب نفسية مثل كره الزوجة لممارسة الجنس لعدم إحساسها بالحب والانسجام تجاه الزوج ، أو لخوفها من حدوث حمل على غير رغبتها ، أو توقعها بأن يكون الإيلاج مؤلماً كإحساس معظم الزوجات فى ليلة الزفاف .

(ب) توقع المرأة الإحساس بالألم عند الإيلاج لوجود إصابة سابقة بالأعضاء التناسلية مثل التهاب أو قرحة أو ورم . . حتى رغم شفاء الزوجة منها

ويستلزم العلاج هنا إجراء فحص طبى أولاً للزوجة لاستثناء وجود سبب عضوى للتشنج . فإذا ثبت ذلك يمكن استشارة الطبيب النفسى أو يمكن استشارته من البداية إذا كانت الزوجة فى شهر العسل ، وعادة يكون العلاج بالمهدئات والأدوية المزيلة لتوتر العضلات ، إلى جانب تهدئة الزوجة وتوضيح الأمور

(٣) عدم التوافق بين القضيب والمهبل : أحياناً ينشأ الألم الجنسى لعدم التوافق بين عضوى الزوجين مثل الضيق الزائد لفتحة المهبل أو للكبر الزائد لعضو الزوج أو لوجود عيب تشريحى بعضو الزوجة مثل وجود حاجز من الأنسجة بقناة المهبل

وفى الحالة الأولى يكون العلاج بتوسيع فتحة المهبل تدريجياً بآلة طبية خاصة لذلك . أو بتوسيعه جراحياً

وفى الحالة الثانية لا بد من الجراحة لإزالة الحاجز المهبلى .

(٤) أسباب مرضية : هناك طائفة كبيرة من الأمراض التى تؤدى لألم الجنس، ويظهر الألم فيها على حسب المكان المصاب ، فإذا كانت الإصابة على الأعضاء الخارجية أو ما يجاورها يقتصر الإحساس بالألم وقت مرور القضيب إلى داخل المهبل ، أى وقت الإيلاج فحسب ، كما فى حالة التهاب الشفرتين أو قناة مجرى البول أو وجود تقرحات بفتحة المهبل... أما إذا كانت الإصابة داخلية فيظهر الألم بعد الإيلاج ، وربما يستمر لفترة بعد انتهاء الجماع ، كما فى حالة التهاب المبيض أو قناة فالوب ، أو وجود ورم ليفى بالرحم أو خُرَّاج بالحوض . . إلخ

يتضح من مثل هذه الأسباب أن تكرار حدوث الألم أثناء الجماع باستثناء ألم الجنس فى ليلة الدخلة أو شهر العسل هو عرض لا ينبغى إهماله ، خاصة إذا لم تكن الزوجة تشعر بالألم من قبل ، لأنه قد يشير إلى حالة مرضية يجب الإسراع فى الكشف عنها حتى يكون العلاج مجدياً .

ولتكملة معلوماتك الجنسية نقول لك : إن العملية الجنسية عند الرجل يتحكم فيها عامل غاية فى الأهمية وهو الجهاز العصبى المستقل بشقيه وهما : الجهاز جار السمبثاوى والجهاز السمبثاوى ، وفى حالة وجود الانفعالات النفسية كالتوتر أو الإحساس بالخوف أو الاكتئاب عند الممارسة الجنسية يزيد نشاط الجهاز السمبثاوى ، وبالتالى يضعف نشاط الجهاز جار السمبثاوى المسئول عن حدوث الارتخاء ، فيحدث الارتخاء الجنسى

وأول من يلجأ إليه فى هذه الحالة هو الطبيب النفسى لاستشارته لاهمية تاثير

العامل النفسى فى حدوث الانتصاب . . . وعلى الطبيب النفسى هنا أن يستثنى أولا وجود أسباب عضوية للارتخاء الجنسي ، وربما يحتاج ذلك لمزيد من الفحص، فإن لم يكن يعتمد العلاج النفسى عادة على مجرد الشرح وإدخال الطمأنينة إلى نفس المريض لاستعادة ثقته بنفسه . . وربما يصف بعض الأطباء منشطات جنسية، ونادراً ما يحتاج الأمر إلى علاج نفسى مطول على طريقة « الجلسات » .

وبصرف النظر عن العوامل النفسية توجد ثلاثة أشياء عضوية رئيسية تتحكم فى الانتصاب وهى :

(١) كفاءة الدورة الدموية بالقضيب الذكرى : إذا ضعف أو انقطع تيار الدم عن القضيب لا يصاب بالغرغرينا (موت الأنسجة) كغيره من الأعضاء مثل القدم ، ذلك لظهور أوعية دموية تقوم بجلب الدم إليه ، فيحتفظ ببعض حيويته لكنه لا يقوى على الانتصاب .

ومن أسباب ذلك حدوث إصابة بالحوض ، أو انسداد الشريان الرئيسى بجلطة دموية ، أو بسبب تصلب الشرايين .

قد يلجأ الطبيب فى هذه الحالة إلى الاستعانة بموسعات الشرايين لزيادة تدفق الدم للقضيب ، أو ربما للجراحة فى عدد بسيط من الحالات إذا وُجد انسداد تام بشريان رئيسى . . وتهدف الجراحة إلى عمل ممر جديد للدماء لتغذية القضيب بالدم (شبيهة بعملية الشريان التاجى المغذى لعضلة القلب) .

(٢) هورمونات الذكورة : إذا انخفض مستوى الهورمونات الجنسية (هورمون التستوستيرون) عن الطبيعى تنخفض الرغبة الجنسية ويحدث الارتخاء

الجنسى . . وهذا لا يعنى أن الهورمونـات الجنسيـة هى وحدهـا التى تثير الرغبـة الجنسيـة ، أو أن فقـدان الرغبـة يكـون سببـه دائمـاً وجـود نقص بالهورمونات الجنسية .

وليس من السهـل عادة معرفة سبب نقص هورمـون التستوستيرون إلا إذا كانت الخصية (المنتجة للهورمـون) قـد أصيبت أو استؤصلت ، لذلك تحتاج هذه الحالة إلى فحوصات طبية دقيقة لمعرفة سبب الخلل الهورمونى.

وعموماً يمكن الاستعاضة عن النقص الهورمونى بهورمون صناعى لكن من الصعب أن يعوض كفـاءة الهورمـون الطبيعى .

(٣) كفاءة الأعصاب : قد يحدث الارتخاء الجنسى إذا أصيب الحبل الشوكى، أو لأى مرض أو ورم يصيب أعضاء الحوض . . لكـن مـن أبرز أسبـاب ذلك مـرض السكـر ، فمن مضاعفاتـه حـدوث التهـاب مزمـن بـالأعصاب الطرفيـة للجسم ، والتى منهـا الأعصاب المغذيـة للقضيب نفسه ، والتى تحدث من خلالها الاستجابة للمؤثرات الجنسية ، مما يضعف القـدرة على الانتصاب . . ولكن ليس دائماً التهاب الأعصاب الطرفية هو سبب الضعف الجنسى عند مريض السكر ، فيمكن أن يحدث لأسبـاب أخـرى - كغيـره مـن البشر - وذلك مثـل إحساس المـريض بـالاكتئاب بسبب مـرضه ، أو ربما لتناول أنواع معينة من الأدوية لعلاج أمراض أخـرى مصاحبـة للسكـر مثل ارتفاع ضغط الدم تؤثـر على القـدرة الجنسيـة .

أو قـد يحـدث الضعـف بسبب مضاعفـات أخرى لمـرض السكـر مثـل ضعـف الصحة العامة ، أو لتعرض المريض لالتهابات متكررة بالجاهز التناسلى بسبب ضعف

مقاومة الجسم الناشئ عن الإصابة المزمنة بمرض السكر مثل التهاب البروستاتا والحويصلة المنوية أو ربما لوجود خلل هورمونى مصاحب لمرض السكر

ويلاحظ أن بعض الأدوية مثل أدوية علاج ضغط الدم المرتفع ، وأدوية الأمراض النفسية والمهدئات . وأدوية أخرى قد تؤدى إلى ضعف الرغبة الجنسية وصعوبة الانتصاب وذلك بصفة مؤقتة . إذ يزول تأثيرها بتوقف تناولها فإذا كان زوجك يتناول أحد هذه الأدوية ويشكو من الارتخاء ، أو إذا كان يشكو من الارتخاء لسبب غير واضح يجب أن يتحرى عن أنواع الأدوية التى يتناولها ، ويستشير طبيبه لاستبدالها

وبعض الرجال يتوقع أن تناول الهورمونات الجنسية (التستو ستيرون أساس المنشطات الجنسية) ينشط قدرته بصرف النظر عن سبب فتورها والحقيقة أن استخدام التستوستيرون لمساعدة الانتصاب لا يجدى تماماً إلا إذا كان هناك انخفاض بالفعل فى مستوى التستوستيرون بالدم

كما أن كيفيه تناوله قد تحدد فاعليته . فتناوله عن طريق الفم يفقده فاعليته إلا إذا أعطى بجرعة كبيرة جداً . بالإضافة إلى أنه يضر الكبد إذا تم تناوله عن طريق الفم

لذلك فالمفروض إذا كان هناك داع لتناوله أن يؤخذ عن طريق الحقن بالعضل. وقد تحدثت إليك عما يخص الرجل من الناحية الجنسية لأن كلا منكما مكمل للاخر ، ولأن كلا منكما حريص على أن يتمتع الآخر بحياته الجنسية ، ويهيئ له أسباب النجاح فيها لأن النتيجة ستعود عليكما معاً

من الذين تسمحين
لهم بدخول البيت ؟

(١) لا تأذني لأحد بدخول بيت زوجك وهو حاضر إلا بإذنه ، ولا تستقبلى فيه أحداً من الأجانب إلا من تدعو الحاجة لاستقبالهم في غير خلوة ، على أن يكون هذا بعلمه أو بإذنه ، أو يكون ممن تجرى عادة البيئة بدخوله كما يحدث في بعض البيوت على أن يحضر الأولاد وبعض المحارم.

(٢) أقاربك وأقارب زوجك يجب ألا يكثروا من الدخول عندك وأنت وحدك، ويطيلوا الجلوس معك بدون موجب ، فقد نهى الرسول عليه السلام عن ذلك بقوله : « إِيَّاكُم وَدُخُولَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيتَ الْحَمْوَ؟ قال: الحَمُو هُوَ الْمَوْتُ» والحمو هو قريب الزوج أو الزوجة . . يريد عليه السلام : أن دخول الحمو على المرأة بصفة مستمرة يجلب في أعقابه أخطاراً كثيرة ، فإن بعضهم قد يسىء هذه الإباحة فيفضى هذا إلى عواقب وخيمة ، منها قطع أواصر القربى أو الطلاق ، وقد يكون منها إراقة الدماء ، وإذا كان هذا حكم قريب الزوج كأخيه وابن عمه وقريب الزوجة فالصديق وغيره مندرج فيه لا محالة .

من الذين تختلطين
بهم خارج البيت ؟

البيت هو المكان الطبيعى لرسالة المرأة ، فيجب أن يكون خروجك منه

مشروطاً بعدم إفساد تلك الرسالة ، أو الإخلال بحق من حقوقها ، كما يجب أن يكون له من الضرورات أو الأسباب المشروعة ما يبرره

فلك أن تخرجى لوظيفتك ولزيارة أسرتك ومن تُؤْمَنَ زيارتك له من الأقارب والصديقات ، وللصلاة فى المسجد ، ولضرورات العلاج وميادين الحرب وقاعات العلم والمحاضرات للتزود بما يثقف عقلك ويهذب نفسك ويفقهك فى دينك ويعرفك بواجبك فى الحياة ، على ألا تكون تلك القاعات عرضة لمجون العابثين ومرضى القلوب ، ولك أن تخرجى إلى أى مكان لا إثم فيه لشراء ما تحتاجين إليه وما يحتاج إليه بيتك ، ولقضاء مصالحك فقد كان نساء الصحابة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده تفعلن كل ذلك .

وإذا التزمت المرأة العفة كان الاختلاط مباحاً إذا كان الغرض منه الرؤية والمقابلة والمحادثة فى ضروريات الأمور . ولا مانع من خروجك إلى المتنزهات والمسارح ودور السنما إذا كانت تعرض موضوعات نافعة عقلاً وخلقاً ، ومما ورد فى ذرائع النساء النهى عن خلوة المرأة بالرجل ، وعن سفرك بدون صحبة زوجك أو ذى محرم ، فقد قال عليه السلام : « لاَيَخْلُوَنَّ رَجَلٌ بِامْرأةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مِحْرَم، وَلاَ تُسَافِرُ الْمَرأةُ إلاَّ مَعَ ذِى مَحْرَم فَقالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رسُولَ اللّهِ إنَّ امْرَأتى خَرجَتَ حَاجَّةً وإنِّى كُتِبْتُ فِى غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ له الرَّسُولُ : انْطَلِق فَحُجَّ معَ امْرأتِك » .

ما جـزاؤك اذا
اصبحت نـاشزا ؟

أنت ناجحة طالما أنك تعرفين مالك من حقوق وما عليك من واجبات ، فتؤدين واجباتك وتطالبين بحقوقك ، وقد بينا لك هذا كله ، ولكن إذا تعديت حدود الحياة الزوجية ، وخرجت عن حقوق الرجل وعن طبيعتك وعما يقتضيه نظام الفطرة في التعامل فقد بين الله جزاءك بقوله تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ واضرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً اللّهَ إِنَّ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِنّ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنّ أَهْلِهَا إِن يُرِيداَ إِصْلاَحاً يُوَفِقِ اللّهُ بَيْنَهُمَاَ إِن اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾ «النساء: ٣٤ - ٣٥» .

وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط ، وبعضهم بالعلم به . . . .

والوعظ يختلف باختلاف المرأة ، فمنهن من يؤثر فى نفسها التخويف من الله وعقابه من النشوز ، ومنهن من يؤثر فى نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة فى الدنيا كشماته الأعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلى ، والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذى يؤثر فى قلب امرأته .

والهجر فى المضجع أقسى أنواع الهجر لأن الاجتماع فى المضجع هو الذى يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين إلى الآخر ، ويزول اضطرابهما الذى أثارته الحوادث قبل ذلك ، فإذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها فى هذه الحالة رُجى أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسى إلى سؤاله عن السبب والرجوع عن مخالفته .

وأما الضرب فاشترط أن يكون غير مبرح وقد وردت أحاديث كثيرة في تقبيح الضرب والتنفير منه فقال عليه السلام « لاَ يَجْلِدْ أَحَدُكُمْ امْرأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِى آخِرِ الْيَوْمِ »

فإذا لم تقدرّى بسوء تربيتك تكريم زوجك لك حق قدره . ولم ترجعى عن نشوزك بالوعظ والهجران والضرب فارقك بمعروف وسرحك بإحسان ، إلا أن يرجو صلاحك بالتحكيم الذى أرشدت إليه الآية المذكوره وهذه الوسائل التى أمر الإسلام باتباعها مع المرأة الناشز دليل على حرصه على الإبقاء على الحياة الزوجية واستمرارها حفاظاً على كيان الأسرة

ما الحل اذا استحالت العشرة بينك وبين زوجك ؟

إذا عجزتما عن التفاهم مع بعضكما ، واستحالت المعيشة بينكما كان علاجكما الأخير هو الفراق بالطلاق تفادياً من الشقاء الدائم بالشقاق . وقد جعل الإسلام الطلاق من حق الرجل وحده لأنه أحرص على بقاء الزوجية التى تكلف الكثير فى سبيلها ، وعليه أن يعطى المطلقة مؤخر المهر ، ومتعة الطلاق ، وأن ينفق عليها فى مدة العدة . . ومع أن الإسلام أباح الطلاق فقد وضع أمام الرجل موانع تصده عنه محافظة على الحياة الأسرية ومنها

(١) الترغيب فى الصبر على ما يكره الرجل من النساء من خَلق وخُلق والعمل بما للصبر من الفوائد والثواب عند الله ، وبما يرجى أن يكون للمرأة المكروهة ولد صالح يكون سعادة لأهل بيته ولأمته ، قال تعالى :﴿ فَإِن

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً ﴾
«النساء : ١٩»

(٢) تأديب المرأة الناشز بما يرجى به صلاحها إبقاء على الحياة الزوجية .

(٣) بعث حكم من أهله وحكم من أهلها يبذلان جهدهما فى الإصلاح بين الزوجين .

(٤) ما ورد عن النبى عليه السلام من ذم الطلاق وبغض الله له للابتعاد عنه كقوله : « مَا أَحَلَّ اللَّهُ شيْئاً أَبْغَضَ إِلَيهِ مِنَ الطَّلاَقِ ، وقوله :« أبْغضُ الْحَلاَلِ إِلىَ اللَّهِ الْطَلاقُ » .

وطلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته فى ظهر لم يجامعها فيه ، أو عندما تكون حاملا قد ظهر حملها.

وطلاق البدعة أن يطلقها فى حال الحيض ، أو فى طهر قد جامعها فيه ، لا يدرى أحملت أم لا . . . وهو حرام ، ولا يقع على أرجح الأقوال . . . فإذا راعينا فى طلاقنا تلك الآداب والأحكام المستقاة من روح الإسلام ونصوصه كان المجتمع الإسلامى أكثر ثباتاً واستقراراً ، وأعظم بهاء ووقاراً .

والتطليق الشرعى يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة ، وعلى هذا فالطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة فقط .

ومن هذا يتبين أن كيفية التطليق نفسها تتضمن أمراً من الأناة والتبصر اطراداً لحكمة الإسلام فى الإبقاء على الأسرة .

وقد شرع الله سبحانه فترة انتظار للمرأة تسمى (العدة) ومن خصائصها :

أن تبقى المطلقة فى منزل الزوجية مدة العدة ، وليس للمطلق أن يخرجها منه ، ولا يجوز لها الخروج من منزل الزوجية إلا لضرورة ظاهرة ، فإن خرجت أثمت، وقال أبو حنيفة : لها أن تتزين فى العدة لزوجها بالثياب والحلى وتتعطر طمعاً فى استمالته ، وجلباً لما فقدته من مودته ، وإذا ماتت فى العدة ورثها زوجها وإذا مات هو أثناء العدة ورثته ، وليس لها أن تتزوج قبل انقضاء عدتها ، بل تظل تحت تصرفه لعله ينوى مراجعتها ، وحينئذ له أن يردها ما دامت فى العدة ولو بغير رضاها . . . فإذا انتهت العدة دون أن يراجعها بطلت هذه الأحكام ، وصارت أجنبية عنه .

وإذا لم يرض زوجك أن يطلقك فماذا تفعلين ؟

إذا رغبت فى التخلص من زوجك ولم يرض أن يطلقك فقد شرع الإسلام لك (الخلع) وهو أن تعطى زوجك قدراً من المال أو غيره عوضاً عما بذله لك من المهر وغيره وعما أنفقه عليك ليرضى بتطليقك ، ويكون غير مغبون ولا مظلوم... وبذلك تتخلصين منه شرعاً .

وحكم هذا الخلع حكم الطلاق البائن الذى ليس للرجل فيه حق الرجعة بدون قبول المرأة ، وهذا من تشريعات الإسلام التى يناصر بها المرأة .

ما حقك من الميراث ؟

اعلمى أن المرأة لم تكن ترث قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام أنصفها وقرر لها نصيباً من الميراث ، فقد جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى الرسول عليه السلام

فقالت : يا رسول الله ، هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل أبوهما شهيداً يوم أحد فأخذ عمهما ماله ولم يدع لهما شيئاً ، وهما لا تتزوجان إلا ولهما مال فقال عليه السلام : « يَقْضِى اللّـهُ فِى ذَلِكَ » ، فنزلت آية المواريث ١١ ، ١٢ من سورة النساء ، فأرسل رسول الله إلى عمهما فقال له : « اعط ابنتى سعد الثلثين ، وأمها الثمن ، وما بقى فهو لك ، وكان هذا أول ميراث للمرأة فى الإسلام .

وقد تقرر مبدأ ميراث المرأة فى الإسلام بقوله تعالى :﴿لِّلرِجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ ٱلأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضا﴾ « النساء : ٧ » .

ويختلف نصيبك من الميراث بحسب قرابتك من المتوفى ، وبحسب من يكون معك من قرابته ، وذلك كما يأتى :

(١) إن كنت بنتاً فنصيبك ما يأتى :-

(ا) تأخذين نصف نصيب أخيك من التركة بقوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ « النساء : ١١ »

(ب) فإن لم يكن لك أخ وأنت مفردة أخذت نصف التركة بقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَت وَاحِدَةً فَلَهاَ النِصفُ﴾ « النساء : ١١».

(ج) فإن كانت البنات أكثر من واحدة ، بنتين فما فوق فلهن ثلثا التركة بقوله تعالى : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَينِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ « النساء : ١١ »

(٢) وإن كنت أما فنصيبك ما يأتى :-

(أ) قال تعالى ﴿وَلأَبَوَيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا السدُسُ مِمَّا ترَكَ إن كَان لهُ وَلَدٌ﴾ « النساء ١١ » ، فللأب السدس . وللأم السدس من تركة ابنهما إذا كان له ولد ذكر أو أنثى

(ب) قال تعالى . ﴿فَإن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وورِثَهُ أبَوَاهُ فَلأمِّـهِ الثّلُثُ﴾ « النساء : ١١ » أى من مات ولم يكن له ولد تئول تركته كلها إلى أبويه : للأم الثلث وللأب الثلثان

(ج) قال تعالى :﴿فَإن كَانَ لَهُ إخوَةٌ فَلِلأمِّـهِ السّدُسُ﴾ « النساء : ١١ » أى أن المتوفى إذا لم يكن له ولد وله إخوة فإن نصيب الأم ينتقص من الثلث إلى السدس .

(٣) وإن كنت زوجة فنصيبك ما يأتى :-

ترثين ربع تركة زوجك إن لم يكن له ولد ، فإذا كان له ولد - ذكر أو أنثى- ورثتِ ثُمن التركة بقوله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ الرّبُعُ مِمَّا تَرَكتُمْ إن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثّمُنُ مِمَّا تَرَكتُم مِّن بعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ « النساء . ١٢ »

(٤) وإن كنت أختاً فنصيبك ما يأتى :-

إذا كان المتوفى ليس له والد ولا ولد ، أى لا أصل له ولا فرع وكنت واحدة للأم فلك السدس وإن كان الإخوة والأخوات للأم أكثر من واحد فأنتم جميعاً شركاء فى الثلث بقوله تعالى : ﴿وَإن كَانَ رَجلُ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ أمرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُختُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا السّدُسُ

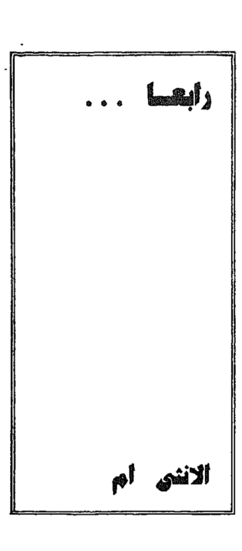
﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ « النساء : ١٢ »

والرجل الكلالة هو الذى لا والد له ولا ولد ، أى ولا أى فرع له ولا أصل

وإن كنت أختاً واحدة للأب والأم أو للأب ترثين النصف إن لم يكن للمتوفى ولد ، وإن كنتما اثنتين ترثان الثلثين ، وإن كنتم إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك بقوله تعالى : ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ « النساء : ١٧٦ »

وهناك أمور فرعية وأحوال كثيرة فى الميراث ليس هنا مجال ذكرها .

❑ ❑ ❑



ليست الزوجية فى الإسلام مجرد وسيلة مشروعة لاجتماع رجل وامرأة فى فراش واحد ، بل وراء ذلك زوجية روحية قررها الله تعالى : ﴿وَمِن آيَاتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِنْ أنفُسِكُم أزواَجاً لِتَّسكُنُواْ إِلَيهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَّوَدَّةً وَرَحمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقومٍ يَتَفَكَّرُون﴾ « الروم : ٢١ » .

« الْجَنَّةُ تحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ »

(حديث شريف)

الأمومة

الأمومة ليست فى الإسلام مجرد ولادة تغدو بها الأنثى أماً لمن ولدته ، بل وراء ذلك أمومة روحية قررها الله تعالى بقوله : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ « النحل: ٧٢ »

والإنسان كائن ثنائى التكوين ، له جانب حيوانى تحكمه قوانين الطبيعة ، وجانب روحى هو أشرف مواهبه ومعدن الخير فيه ، ولا سلطان لقواميس الطبيعة عليه   ومن آيات الله أن جعل من هذه الثنائية ضربين من الازدواج بين أفراد الإنسان   ضرب حسى ، وضرب روحى .   . فهو من حيث حيوانيته زوجان : ذكر وأنثى، يختلفان فى معالم الذكورة والأنوثة وفى كل أنسجة الجسم وخلاياه، مع أن العناصر الأرضية التى يتألف منها بدن كل منهما واحدة . . وهو من حيث جوهره الروحى زوجان : إنسان وإنسانة ، يتحد جوهر الإنسانية فى كل منهما ، ولكنهما من حيث الزوجية يختلفان إذ تقوم بأحدهما حاجة ينشد بها السكن إلى الآخر   وعلى هذا تكون الزوجية هنا بين إنسانية وإنسانية .

قانون الأمومة

ينبغى أن نلتمس هذا القانون فى غير حب الأم لولدها ، فالأمومة بين الأم

وولدها من قبيل الزوجية بين المرأة ورجلها ، فكل منهما يعمل عمله ، ويؤتى ثمرته على مثال روحى يعلمه الله ، فلا نستطيع أن ندرك كيف يعمل قانون الأمومة، فهو من سنن الروح ، لا من سنن الطبيعة التى يمكن ضبط عملها بمعادلات وأقيسة رياضية محسوبة ، وحسبنا من علم تلك الروحيات أنها بكافة سننها وحقائقها هى مراد الله تعالى بقلب الإنسان الذى يريد الله به مواهب الفطرة وسننها التى ميز بها الإنسان من الحيوان لمعرفة الله ، والتلقى من غيبه ، والتهيؤ للقائه ، وهى حقائق روحية تحس أثرها ، ولا تدرك كنه عملها لأنها تؤديه فى الضمير على مثال غير منظور .

ومن تلك القوانين التى تعمل فى الضمير على هذا المثال قانون الأمومة ، فالأمومة من وراء الحمل والولادة والإرضاع قانون روحى جعل للمرأة خاصة لتؤدى به للنسل شيئاً غير غذاء الرحم ولبن الرضاع ووراثة النوع والصفات . . أراده تعالى لتؤدى به لإنسانية الولد ثمراً روحياً فيه قداسة العبادة ، وقد تضمن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُم أَزوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّن أَزوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الْطيِّبَاتِ﴾ « النحل ٧٢ » . والحفدة هم الأولاد الذين يجدون فى أنفسهم من الولاء والتعظيم لوالديهم ما يحبب إليهم خدمتهم ، والمبادرة إلى طاعتهم ومرضاتهم . . . والحفد ثمرة قانون الأمومة ، فهو يثمره ولا يخلعه ، وفطرة الإنسان مهيأة للحفد ، وقانون الأمومة ينفخ فيها الحياة فتربو وتثمر فى نفوس الأولاد.

وقانون الأمومة انفردت به الزوجة بتأهيل روحى خاص جعلها المصدر الطبيعى الوحيد الذى ينفخ فى نفوس الأولاد فتثمر ما شاء الله من أدب الحفد ، فقد قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ « النحل : ٧٢ » .

وثمر قانون الأمومة هو آداب الحفد على اختلاف صورها ، ونستطيع أن ندرك

بركة هذا القانون وأثره فى الحياة إذا تصورنا صلة الأبناء بوالديهم قد خلت من البر والود وحسن المعاملة . . ونقصد بذلك وزن الإنسان نفسه إذا خلا ضميره من الود والبر بوالديه ، وأبدلهما بالكنود وقلة الاكتراث بوالديه ، فلا جرم أنه لا يحمل ضمير إنسان ، وضميره إلى صفات الشيطان أقرب .

وصلة قانون الأمومة بعبادة الله ترقى إلى رتبة العبادة ، وبذلك تتسع دائرة العبادة فى حياة المرء ، أى الدائرة التى يزاول الإنسان فيها أموراً مقدسة . . وإقدام الإنسان على الحياة بمشاعر القداسة وتناولها باحترام وتوقير يهذب نفسه، وينفى عنها العبث وقلة الاكتراث ، ويزكى الأعمال والمعاملات ، أى يرقى الحياة نفسها .

ظروف عمل الامومة

(١) أن يكون اقتران الطرفين على السنة المشروعة التى ترضى الله ، وهى التى يتوفر معها شعور الإنسان بكرامة الصلة ، وتصونه من التحلل والابتذال، وهو شعور صالح يؤازر قانون الزوجية ، وبالتالى قانون الأمومة ، ويقيه الآفات المعارضة ، لأن من أهم شرائط نشاط ذلك القانون إحساس المرء بكرامة الصلة الجنسية ، وهو إحساس لا يتوفر مع الصلة القائمة على المخادنة والمسافحة .

إن جو الصلة بالله هو الحضانة الأولى لقانون الأمومة ، وليس من شأن الضمير الذى أسقط الاعتبار الإلهى أن تيقظ فيه خاصة الأمومة ، فستنزل لرضيعها من أفق الروح ما تزدهر به فضائل الحفد فى السلوك .

(٢) تفرغ الأم لعملها الطبيعى وهو رعاية أولادها وبيتها ، وعدم عملها خارج البيت ، فإن ما ينشأ فى ضمير المرأة من اعتبارات المماثلة فى الكسب والنفقة ونحوهما يبدلها بالإحساس الأمثل الذى يرشحها للأمومة إحساساً آخر تتشوش فيه الخصائص الطبيعية بغرور الكسب ، ومادية الغاية ، وفتور الصلة بالله . . فلا يتاح للقانون الجليل الذى هو أقدس ما فيها أن يؤدى عمله فى الظروف التى تجعلها أمّاً مثلى .

وحكمة الله قد سمت بالأمومة عن أن تكون مجرد ولادة وحمل ، فجعلتها خاصة روحية تقتبس للولد ما يجعل فى مجتمعاتنا صوراً من أدب الملأ الأعلى .. فتقدير الإسلام للأسرة أنها جهاز ذو فاعلية فى تطوير معنى الحياة ، ومنح ظلمتها وماديتها عناصر من أفق المعنويات تجعلها جديرة بنظر الله تعالى .

(٣) أن تحاط علاقة الأمومة بجو من الوقار والقداسة يسمو بها عن مستوى العلاقة العادية ، فيعطيها الابن ما تستحق من التقديس والتقدير والاحترام.

ويجب أن تعلمى أنه بدون هذه الظروف يفقد قانون الأمومة قدرته على العمل المثمر ، ومثالية هذا القانون تبدأ من قمة رعاية الزوجين لحقوق الله ، والاعتزاز بشرف قيمها الإنسانية ، فيجب أن تتمسكى بها وتعلمى أنه ليس هناك أجمل مما يرسم الإسلام من حقيقة الزوجية الفاضلة التى ينمو فى مثلها وقيمها أفضل آثار الأمومة .

ما الذى يجب عليك عمله فى البيت ؟

بعد هذا الحديث عن الأمومة نتحدث معك عن عملك كأم فى الحياة الزوجية، وأهم عمل تقومين به رعاية أولادك وتنشئتهم تنشئة دينية تغرس فى نفوسهم معرفة الله تعالى وحبه ، ووجوب تأدية فرائضه ، واتباع أوامره واجتناب نواهيه . . واحترام الوالدين وطاعتهما والعمل بنصائحهما . . وحب العلم والحرص عليه سواء كان دينياً أو دنيوياً ، فكل العلوم يحتاج إليها الإنسان ، وهى وسيلة إلى معرفة الله تعالى وتقوية عقيدته ، وتثبيت إيمانه ، واقتناعه بأن الإسلام هو الدين الذى يجب أن يتبع كما يجب أن تراعيهم دينياً ونفسياً وصحياً واجتماعياً وسلوكياً ودراسياً .

ولتكن عينك رقيبة عليهم . . . فإذا كان فيهم من يهمل فرائض ربه ولا يتمسك بآداب الإسلام يجب أن تحثيه على تأدية هذه الفرائض وتبينى له عاقبة تركها ، وعلى التمسك بآداب الإسلام لأنها السبيل إلى أن تكون له شخصية متميزة محترمة فى المجتمع . . . وإذا كان فيهم من هو مُنطوٍ أو مكتئب فابحثى عن السببِ وعالجيه نفسياً حتى يصبح اجتماعياً مسروراً مستبشراً . . . وإذا كان فيهم مريض فسارعى إلى علاجه ولا تبطئى فى اتخاذ إجراءات العلاج . . وإذا كان فيهم انعزالى فابحثى عن السبب ، وهيئى له فرص التعرف على أصدقاء تثقين فيهم ، وتتأكدين من حسن سلوكهم . . وإذا كان فيهم منحرف فوجهيه وحذريه من سوء عاقبة الانحراف ، ولا تهدئى حتى تستقيم أخلاقه ، وإذا كان بين أولادك خلاف يجب أن تعملى على إزالته ، وإعادة الصفاء والمحبة إلى نفوسهم . . ويجب أن تراقبيهم فى دورسهم واستذكارها وفى دراستهم فى المدرسة فاتصلى

بمدرسيهم لتعرفى مستواهم ، وبالمدرسة لتعرفى سلوكهم فيها ، وتتعاونى مع المدرسة فى تربيتهم ، فتتفقان معاً على خطة موحدة فى توجيههم ورعايتهم وتهيئة طريق النجاح لهم . ويجب أن تشجعى المجتهد وتساعدى الضعيف بنفسك أو بالمدرسين الخصوصيين، ولا تدعيهم يهملوا دروسهم ويضيعوا وقتهم ، ويجب أن تهيئى لهم الجو المنزلى الذى يساعدهم على ذلك ، ويضفى عليهم السعادة والإنشراح الذى يساعدهم على استذكار دروسهم بإتقان ، ويدفعهم إلى التفوق فى حياتهم الدراسية ، ليكون هذا تمهيداً لتفوقهم فى حياتهم العملية .

ويجب أن تعلمى أن أولادك أمانة فى عنقك سوف يسألك الله يوم القيامة عما بذلته من جهد فى تربيتهم وتوجيههم التوجيه الصحيح فى الحياة . . وأنهم عنوانك فى المجتمع فسوف يحكم الناس عليك بأخلاق أولادك وسلوكهم فى الحياة . . فليس المطلوب إرضاع الأطفال وإطعام الأولاد وإلباسهم ومراعاة نومهم ويقظتهم، وملاحظة صحتهم ومرضهم فحسب ، فهذا جزء من واجباتك كأم . . والجزء الأهم هو تربية روحهم وعقولهم وتوجيه أخلاقهم نحو الأفضل ، ولذلك يجب أن تعلمى أن أولادك جهاز لاقط لكل ما يبدو منك من أفكار وأخلاق وأعمال ، فيجب أن يكون سلوكك سياسة تربوية مرتبة للإيحاء بأقوم مناهج الفكر والخلق والعمل . . إن موقفك من الأولاد وهم يلتقطون منك ما يصدر منك من كلمات وأفعال وسلوكيات هو أخطر المواقف فى حياتهم فيجب أن يصدر منك - وخصوصاً أمامهم - أفضل الكلمات والأفعال والسلوكيات التى تؤثر فى عقائدهم وقيمهم.

وهذا الموقف يقتضى منك دراسات جادة متعددة الجوانب فى الدين والفلسفة وعلم النفس - ولاسيما دور الطفولة - والأخلاق والفن والاجتماع ، على ألا تكون دراسات نظرية للتكمل بالمعرفة ، بل لتزكى نفسك وخصائصك ، وتترجميها

إلى التزامات تندمجين فيها بفكرك ووجدانك حتى تحققى نموذج القدوة الكامل الذى يكون سلوكه صورة غير متكلفة لما يراد إيحاؤه للأولاد . ويمكن أن تستعينى بما تذيعه وسائل الإعلام من واجبات الأم ، وعن علاقة أفراد الأسرة مع بعضهم، وتنفذى منها ما تجدينه موافقاً لأسرتك وعقائدها وتقاليدها ، وفى حدود مقدرتك المالية

وإن أفضل خدمة تقدمها الأم للمجتمع وللأمة وللإنسانية هو إعداد مواطنين ذوى عقيدة راسخة ، وأخلاق فاضلة ، محبين لوطنهم ، محبين للعلم ، حريصين عليه ، وهذا لا يمكنك تأديته على الوجه الأكمل إلا إذا ثقفت نفسك بالعلوم التى تمكنك من ذلك فيجب عليك أن تدرسى حياة الأطفال والأولاد وما يتعرضون له من حالات نفسية مختلفة ، ومن أمراض فى فترات حياتهم وكيفية علاجها السريع والمؤقت ، حتى تستطيعى أن تتصرفى التصرف الصحيح فى كل موقف وتنقذى أولادك مما يتعرضون له بالطرق العلمية التى تحفظ لهم نفسيتهم وصحتهم.. وبذلك تجعلين من الوالدين والأولاد أسرة مؤمنة إيماناً عملياً ، سعيدة اجتماعياً ، متحابة متعاونة يشد كل منهم أزر الآخر ، ويساعده فى ما يحتاج إليه حتى يحقق الهدف الذى يسعى إليه وينجح فى حياته ، لأنه تعتبر سعادة أى فرد سعادة للأسرة التى يظللها الوفاق والوئام

ويجب ألا يطغى اهتمامك بأولادك على واجباتك نحو زوجك ، فهذا من الأخطاء التى تقع فيها بعض الزوجات ، وتكون عاقبتها سوء التفاهم بين الزوجين، وترك الزوج المنزل إلى مكان آخر يجد فيه ما يريد .

والإسلام لم يقرر عليك تلك المسئولية إلا وهو يقدر ماتقتضيه من ألوان الثقافة والعلم ، ويقرر مسئولية الدولة عن ذلك ، وليس هذا تفضلاً منها ولكنه حقك

الـذى يجب أن تعطيـه لك

إن رسالتك مقسمة بيـن زوجك وأولادك فيجب أن تـؤدى لكـل منهمـا حقـه . وتسعدى أسرتك بكياسة عقلك وحسن تصرفك ، ووزن الأمـور بميزانهـا الصحيـح العادل ، حتى تعيش أسرتك فى أمان نفسى ، ورضا قلبى ، وصفـاء روحى وسعـادة موطدة الدعائم ، واستقرار ثابت الأركـان ، وجـو مفعـم بـالحب والصفـاء ، مظلـل بالوفاء والإخلاص ، فلا يستطيع الشيطـان أن يفسده ، ولا الحاقـدون والحـاسدون أن يؤثروا فيـه .

ما حق الأمومـة ؟

بعـد أن بينـا الرسالـة العظمى التى تقـوم بهـا الأم فى الحيـاة ، يقتضى هـذا أن نبين واجب الأبناء ، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً نحوها ، اعترافاً بجميلها ، وتقديراً لرسالتها ، وموازنة بين ما عليهـا ومالهـا .

وهذا الواجب قد ورد ذكره فى آيات كثيرة من القرآن الكريم نذكر منها قولـه تعالى :﴿ وَقَضَىَ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحسَانـاً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنـدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوكِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَتنهَرهُمَا وَقُـلْ لَهُمـاَ قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارحَمهُمَا كَمَاَ رَبَّيَانِى صَغِيراً﴾ «الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ » ، وقولـه تعـالى : ﴿ وَاعبُدُواْ اللَّهَ وَلاَتُشرِكُـواْ بِـهِ شَيَئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحسَانا ﴾ « النساء : ٣٦ » . . . وواضح أن سيـاق هـذه النصوص الكريمة يتضمن أمريـن :

الأول : تعظيم الله لشأن الوالدين بجعل تعظيمهما تالياً لتعظيمه مقارناً له ، فمكانهما

الثانى جعل تعظيمهما والمسارعة إلى خدمتهما ومرضاتهما بمختلف وجوه البر فريضة واجبة على الأبناء .

ذلك مقام تشترك فيه الأم والأب ، ثم تنفرد الأم عن الأب بمقامين آخرين هما :

المقام الأول : الحمل والفطام ، وإذا كان مجرد سببية الوالدين فى إيجاد ولدهما جعلت لهما من التعظيم وحرمة الرعاية ما هو معلوم ، فأولى أن يكون لها مثل ذلك فى الحمل والإرضاع ، قال الفخر الرازى : حملته أمه : أى صارت بقدرة الله سبب وجوده ، وفصاله فى عامين : أى صارت بقدرته أيضاً سبب بقائه، فإذا كان فى فعلها ما يشبه صورة الوجود والبقاء وجب عليه لها ما يشبه العبادة من الخدمة

المقام الثانى : مقامها فى قانون الأمومة وهو فى إيجاز : استعداد روحى تنفرد به الأم دون الأب ، وبواسطته يحيى الله فى إنسانية الولد ملكة تجعل صلته بوالديه صادقة التعظيم لهما ، وإلى هذا الاستعداد يشير قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّن أَزوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ «النحل : ٧٢». وقد بينا معنى الحفد ، وصفة الحفد شرطها الحتم الزوجية التى يتحقق لها وصف الأمومة.. فلو نجح علماء الحياة فى الجمع بين حيوان منوى وبويضة أنثى داخل مخبار، ووفروا لهما كل الظروف الطبيعية الضرورية لتكوين الجنين لجاء هذا الكائن على هيئة الإنسان ، لكن ليس له الوارد الروحى الذى يلقيه الله تعالى إلى الأولاد عن طريق قانون الأمومة فى الأمهات . . وذلك لأن مرور الجنين بمرحلة الحمل

فى بطن أمه شرط لا بد منه لتلقى المَلَكة التى يكون بها الابن حافداً لوالدية فمقام الأم فى اختصاصها بأن يهب الله لابنها عن طريقها القوة التى يميز بها ويحس نعمة الله الكبرى فيكون منه ما يكون من شكر الله والوالدين أجل من مقامها مع أبيه فى سببية وجوده

وبتقرير مقام الأم على هذا النحو يتقرر لها ثلاثة مقامات ثابتة فى البر ، ويتقرر للأب مقام واحد ، وهى فى معنى ما رواه أبو هريرة من أن رجلاً قال : « يا رسول الله : مَنْ أحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابتَى؟ : قال : أمُّك ، قال : ثُمَّ مَنْ؟ قال : أمُّكَ ، قال : ثُمْ مَنْ؟ قال : أمُّكَ ، قال : ثُمْ مَنْ؟ قال : أبُوك » ، قال الحارث الحاسبى : لا خلاف بين العلماء فى أن للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع على مقتضى حديث أبى هريرة . ولذلك ثبت حقها فى حسن المعاملة المذكور فى آية سورة الإسراء الأولى ، وليس المراد بها معنى من الآداب المدنية ، بل يراد به لون من الشعائر المقدسة له صفة العبادة ، وثبت حقها فى إنفاق ولدها عليها إذا كانت فقيرة ، ويؤيد هذا أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنِّى أشْتِهى الجِهَاْد ولا أقْدِر عَلَيْه ، قال : «هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِديْكَ أحَدٌ » قال : أمِّى ، قال عليه الصلاة والسلام : « قَابِل اللَّهَ فِى بِرِّهَا ، فَإذَا فَعَلتَ فَأنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ ومُجَاهِدٌ » . وقوله عليه السلام (قابل الله فى برها) تعبير رائع يكشف عما فى بر الأم من رضوان الله الذى هو حقيقة النعمة . . . . وبذلك يتضح لك أن الله كما كلفكِ برعاية أبنائك حفظ لكِ حقكِ عندهم ، فكلما أحسنتِ تربيتهم أحسنوا لكِ الجزاء ، فالجزاء من جنس العمل .

انتظيم النسل
أم تحديده ؟

وما دمنا نتحدث عن مسئولية الأم نحو أولادها فأرى أنه يجب أن نتحدث فى هذه المناسبة عن تنظيم النسل . وهناك فرق بين تحديد النسل وبين تنظيم النسل... فتحديد النسل هو أن تمنعى النسل مطلقاً وتتخلصى من الحمل الذى يحدث بدون رغبة ، وهذا حرام . . . أما تنظيم النسل فهو أن توجد فترة زمنية بين كل مولود وآخر حتى تستطيعى المحافظة على صحتك ، وأن تقومى بواجباتك المنزلية ، وهذا جائز لمصلحة الفرد والجماعة بالقدر الذى تتوفر به المهابة والقوة، ويتحقق الرخاء، وتندفع أسباب التخلف والفاقة ، وما إليها ، أو بالقدر الذى لا تئول به إلى التعب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى الذلة بعد العزة، فقد قال عمرو بن العاص وهو حاكم مصر فى إحدى خطبه يوم الجمعة : « يا مَعْشَرَ النَاس، إيَاكُم وخِلالاً أربعاً ، فإنها تدعو إلى النَّصبِ بعد االنَّصَبِ وإلى الضِّيق بعد السعةَ، وإلى الذّلةِ بعدَ العزة ، إياكم وَكَثْرةَ العِيال ، وتضيِيعَ المالِ ، واختفاض الحالِ ...» . . وعمرو بن العاص له صفتان : صفة رجل الدولة الحصيف البصير بمرامى السياسة ومطالب المجتمع . ، وصفة الإمام الفقيه الذى صحب رسول الله عليه السلاِم على بصيرة وتعلُم . . فهو يقول عن وعى لما فهم وتلقى عن الرسول عليه السلام من مقاصد الدين وأحكامه ، ولم ينكر ما قاله عليه أحد ممن سمعوه، وكان فيهم كثيرون من الصحابة الذين لهم مثل صحبته وفقهه ، كما لم ينكره عليه عمر بن الخطاب حاكم المسلمين العام .

والإسلام لم يمنع تنظيم النسل بمنع الحمل مؤقتاً لإعتبارات وبواعث مشروعة، والدليل على ذلك أن رجلاً قال للنبى عليه السلام : إن لى جارية هى خادمتنا

وساقيتنا فى النخل أى تسقى نخلنا وأنا أطوف بها أى أجامعها وأكره أن تحمل فقال عليه السلام « اعْزِلْ عنهَا إنْ شِئْت . فإنَّه سَيَأْتِيهَا مـا قُدِّرَ لهَا »، فالرسول عليه الصلاة والسلام أمره بمنع الحمل لأن له إلى جاريته حاجته المشروعة التى يريدها كل رجل من امرأته ، وهى فى الوقت نفسه أمة مشتراة لتعمل فى خدمة بيته وسقى نخله . فإذا حملت منه ضعفت قوتها وتأثرت مصلحته بهذا الضعف ، وربما تعطلت ، وإذا امتنع أن يجامعها لكيلا تحمل شق عليه ذلك - على ما يفهم من حديثه . والإسلام لا يرضى للمرء أن يمتنع عما يحصنه لما يترتب عليه من الفتنة ، ويكره إلى ذلك إضاعة المال وتعطيل المصالح ، فخرج النبى عليه السلام من ذلك كله بالحل الذى أشار به على الرجل

والأسباب التى تبيح منع الحمل قد تكون صحية أو اجتماعية أو اقتصادية فالصحية أن يكون الحمل المتوالى سبباً فى إضعاف صحتك ، وعدم مقدرتك على القيام بواجباتك الزوجية والمنزلية والاجتماعية بأن ترغب المرأة فى أن تظل جميلة أمام زوجها استدامة لحبه ، وإبقاء على عشرته إذا علمت أن كثرة الحمل والإرضاع تذهب بجمالها ، وتفضى إلى نفور زوجها منها وتطلعه إلى غيرها. وقد قال الإمام الغزالى فى أسباب منع الحمل الجائزة « والنية الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع ، واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق وهذا أيضاً ليس منهياً عنه » والاقتصادية بأن يكون الغرض التخفيف من عبء المعيشة ، ومنع ما يصيب الأولاد بسبب كثرتهم مع ضيق الموارد من حرمان لايجدون به أسباب التربية الصحيحة عقلياً وبدنياً وصحياً ، ولا يجدون منه سوى ضعف البنية والهوان ومختلف العقد النفسية التى تؤثر على صلاحيتهم الإجتماعية، فقد قال رجل للرسول عليه السلام إنى أعزل عن امرأتى ، فقال عليه السلام « لِم تَفْعَلُ ذلِكَ؟» قال أُشْفِقُ على وَلَدِهَا - أو أولاَدِهَا - فقال عليه السلام :

« لَوْ كَانَ ضَارّاً ضرّ فارس والروم » فقد رأى الرسول عليه السلام أن منع الحمل لم يضر فارس والروم فأجازه للرجل ، وفى الحديث جواز الانتفاع بما للأمم من تجارب ، وقال الشوكانى فى تفسير هذا الحديث : « ومن الأمور التى تحمل على العزل الفرار من كثرة العيال بالفرار من حصولهم من الأصل »، وقال الإمام الغزالى فى أسباب منع الحمل الجائزة : « والنية الثالثة : الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة إلى التعب فى الكسب، والدخول مداخل السوء ، وهذا غير منهى عنه » .

وهذا يدل على أن الإسلام يجيز للأفراد وسائل منع الحمل رعاية لمصالح الناس الخاصة المشروعة . سواء كانت صحية أو اجتماعية أو اقتصادية .

وقد تسألين : هل العزل مباح أم محرم؟ . . . وقد لخص الإمام الغزالى مذاهب العلماء فى ذلك ، ثم اختار الرأى الذى يجيز العزل فقال : « اختلف العلماء فى إباحته وكراهته على أربعة مذاهب : فمن مبيح مطلقاً بكل حال . . ومن محرم مطلقاً بكل حال . . ومن قائل يحل برضاها . . ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة ، ثم قال : والصحيح عندنا أنه مباح » .

وقد تظنين أن منع الحمل من قبيل الجناية على النفس ، وقد رد الإمام الغزالى على ذلك بأنه ليس كالإجهاض والوأد – دفن البنت وهى حية – لأن كلا من الوأد والإجهاض يقع على موجود حاصل فعلاً ، إما جنين فى الرحم ، وإما مولودة وتعيش على ظهر الأرض ، وإفساد هذا الموجود جناية ، وكلما كبر الجنين كانت الجناية أفحش ، ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حياً . . . وأما العزل فهو حيلولة دون وجوده فعلاً ، فلا يعتبر جناية على موجود حاصل .

وقد تظنين أن منع الحمل يعتبر معارضة لقدر الله وقد أبطل الرسول عليه السلام نفسه هذا الظن بقوله للرجل الذى عرض عليه مشكلته مع جاريته « اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها » ومن معنى هذا الحديث أن ماء الرجل ليس هو مصدر الخلق والتكوين وإنما هو سبب ظاهرى يخلق الله به من يشاء ، فإذا أراد الله ألا يكون جنين فإنه لا يكون ، وإذا أراد أن يكون جنين – على رغم العزل فإنه يكون ولا بد وقد حدث أن الرجل الذى عرض مشكلته على الرسول عليه السلام عاد إليه بعد مدة يقول له إن الجارية قد حملت على رغم العزل!! فأجابه عليه السلام « قد قلت لك اعزل عنها فإنه سيأتيها ما قدر لها» ومع ذلك فإن الذى أقر الناس على العزل ، ووجههم إليه هو النبى عليه الصلاة والسلام ومعاذ الله أن يشرع لنا مالم يأذن به الله

واعلمى أن العزل كان هو الوسيلة الوحيدة المعروفة للناس قديماً لمنع الحمل، فلا بأس من استعمال العقاقير والوسائل التى تحقق الغرض من العزل شرعاً ، بالإضافة إلى أن الأطباء يقولون إن استعمالها خير من العزل من الوجهة الصحية والنفسية

ـــ ـــ ـــ

خامسا ...

الأنثى : ربة بيت

مهمة ربة البيت

وضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المهمة فقال : «والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » وهى مهمة متعددة الجوانب، منها الاقتصادى ، ومنها الصحى ومنها الاجتماعى ، ومنها التربوى الفلسفى ، ومنها الإدراى فيجب أن تراعى أمور بيتك فى جميع هذه الجوانب .. وقد تكلمنا سابقاً عن الجوانب الصحية والاجتماعية والتربوية الفلسفية .

أما الجانب الاقتصادى فهو يتعلق بالناحية المالية . . . فيجب أن تديرى شئون بيتك المالية فى حدود موارد زوجك المالية بدون أن تشعريه بعجزه عن كفاية بيته ، وبدون أن تطالبيه بما هو فوق طاقته حتى لا تنكدى عليه عيشه ، وتجعليه متضايقاً عكر المزاج ، وتضطريه إلى أن يرهق نفسه فوق طاقته ليحضر لك ما تريدين ، فتكون النتيجة تدرج صحته فى الضعف حتى يصير عاجزاً عن الكسب تماماً . . .فيجب أن ترضى بما قسم الله لك ، ولا تتطلعى إلى من هم فوقك ، ولتعلمى أن الله قسم الأرزاق بين الناس حسب ما تقتضيه حكمته ، ففى الحديث القدسى : « إِنَّ مِنْ عِبَادِى مَنْ يُصْلِحُهُ الغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُه لفَسَدَ ، وإِنَّ مِنْ عبَادى مَنْ يُصْلِحُه الفقرُ ولو أَغْنَيْتُهُ لفسَد » ، فإرادة الله نافذة ، والرضا يكسبك السعادة وهدوء البال ، وعدم الرضا يكسبك الشقاء والقلق ، ولن تستطيعى أن تغيرى ما قدره الله ، فارضى بما قسم الله لك تكونى أسعد الناس . . . ولاشك أنك إذا رتبت لبيتك ميزانية شهرية ، عاملة حساب المصروف الدائم والمصروف الطارئ

في حدود دخل زوجك تكونين ربه بيت مثلى لأنك تحفظين لبيتك كيانه الاقتصادى الذى يرتبط حسياً ومعنوياً باستقرار الأسرة ومصيرها . لأنه العمود الفقرى فى معيشة الأسرة الذى تتوقف عليه حياتها ، فلا بد أن تدركى خطورته ، وأن تعلمى أن تخطيطه الحق يقتضى اعتبارات وثقافات لا بد من تيسيرها وتوفيرها للزوجة لتسلم مسئوليتها عن هذا الجانب

أما الجانب الإدراى فهو الإشراف العام على كل شئون أفراد الأسرة – زوجاً وأولاداً – إشرافاً يشمل جميع النواحى التى تتعلق بحياتهم وبعملهم وبتدبير شئونهم، والوقوف بجانب كل واحد منهم فى السراء والضراء ، ومساعدته بالرأى المستنير والتصرف الحازم فى أى موقف حتى يمر منه بما يسعده ويحقق مراده ، وحينئذ يدرك فضلك ، ويعترف بجميلك ، فتأسرينه طول حياته

وهناك الرعاية الروحية التى تدرك يالنظرة العابرة ما يدور فى خاطر كل فرد فى بيتها فتحاول أن تحققه إن كان خيراً ، وتبعده عنه إن كان شراً ، وتنصحه بالحسنى بما يجب اتباعه ، وتقنعه بضرورة عمله ، فيشعر الجميع بعظم مكانتها بينهم ، فتكسب حبهم ومودتهم ، وتحظى بثقتهم وصداقتهم ، وحينئذ تستطيع أن تهيمن عليهم هيمنة روحية ، وتخضعهم لإرادتها الخيّرة التى تراعى الله فى القول والعمل ، وتراقب الله فى تصرفاتها ، وعندئذ تكون هى ربان السفينة الماهر الذى يحافظ عليها ، ويفكر فى الخير لها ، وفى إسعاد أفرادها .

ولاشك أن الطبيعة إذ فرقت بين الرجل والمرأة أرادت أن يكون للرجل اختصاص فى الحياة غير اختصاص المرأة ، وما اختلاف التكوين الجثمانى إلا ليتجه كل منهما إلى ما أعد له إننا لا ننكر أن للمرأة عقلاً كعقل الرجل ، ولا نجحد أنها تفهم ما يفهمه الرجل ، ولكننا نريد أن يختص كل منهما بعمل

يناسب استعداداته الفطرية بحسب الاستعداد الخَلقى الذى حددت به الطبيعة لكل منهما مهمته فى الحياة ، . . وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَلاَ تَتَمَنَّواْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعضَكُم عَلَى بَعض لِلّرِجَالِ نَصِيبُ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِسَاءِ نَصِيبُ مِمَّا اكْتَسَبْن وَاسئَلوُاْ اللَّهَ مِن فَضلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيماً﴾ «النساء : ٣٢»... وهذا لا يمنع من أن يباشر كل منهما عمل الآخر فى وقت الأزمات الطارئة .

واعتبار المرأة ذات مسئولية له أثره فى حياتها الفكرية والنفسية ، فإن الإحساس بالمسئولية هو فى الواقع إحساس بالذات ، وباعث الاستجابة إلى الواجب ، ومن ثَمَّ فهو مناط الإحساس بالكرامة وأهميه الوجود . . ذلك إلى أنه ينبه فيها جوانب غافلة أو خاملة إلى التزامات فى آفاق عدة ، فتدب فى نواحى النفس ألوان من النشاط و الحركة ، ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر ، فهو اعتبار له أثره فى دعم الوجود واكتمال الشخصية .

ومع أن مسئولياتك كبيرة ومتعددة فإننا لا نطالبك بما هو فوق طاقتك فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لاَيُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إِلاَّ وُسعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَت﴾ « البقرة : ٢٨٦ » .

ونسأل الله أن يوفقك فى تأدية رسالتك ، ويعينك عليها حتى تستحقى أن تكون الجنة تحت أقدامك كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

إن ربه البيت التى تعرف رسالتها معرفة حقيقية واعية ، وتقتنع بوجوب تأديتها على الوجه الأكمل هى العين الساهرة التى لا تغفل حتى يستريح الجميع ، والروح القلقة التى لا تهدأ حتى يهدأ الجميع ، وهى التى توجد بسمة الرضا والسرور

على شفاه جميع أفراد أسرتها ، وهى الدافع الأول إلى نجاحهم ، وهى التاج الذى يتوج حياتهم جميعاً بالفلاح .

❑ ❑ ❑

سادسا . . .

الانثى عاملة

عمل المرأة

هناك أمران من الأمور المسلمة فى الفطرة والشرع يجب استحضارهما عند مناقشة عمل المرأة وهما :-

الأول : أن العمل فى حد ذاته مشروع غير محرم على أحد ما دام فى غير معصية على ألا يستغرق وقتها وفكرها فيخرجها عن خصائصها، ومقتضيات مهمتها الفطرية . . . وقد اتجهت المرأة منذ فجر التارخ إلى الأعمال التى تحس فيها بواجبها نحو زوجها وأولادها بباعث وجدانى اختيارى محض لم يجبرها عليه أحد . . وحكم الإسلام فى الاشتغال بهذه الأعمال حكم الطبيعة ، فإن على ابن أبى طالب وزوجته فاطمه عليهما السلام لما عرضا على الرسول قضية عملهما حكم بأن يكون لعلى عمل الخارج ، ولفاطمة عمل البيت . . وقد راعى الإسلام فى ذلك أن عملها فى البيت لزوجها وولدها يختلط بوجدانها فهو لا يعارض وظائفها الأساسية ، بل يؤازرها ، ويوثق روابطها بها .

الثانى : أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق المرأة أنثى كان ذلك لما سبق فى علمه تعالى من تمكينها من تحقيق مقاصد لها مكانها من الحكمة والمصلحة ، فالبيت هو المكان الطبيعى الذى تتحقق

فيه وظائف الأنوثة وثمارها ، وإن بقاءها فيه هو بمثابة الحضانة التى تجنب خصائص تلك الوظائف وقوانينها أسباب البلبلة والفتنة، وتوفر لها تناسقها فى مجالها ، وتحيطها بكثير من أسباب الدفء والتركيز النفسي والذهنى ونحوه مما يهيئ الظروف الضرورية لعملها . . . وكل هذا واضح فى المصالح التى لا تقتضيها أن تخرج كل يوم فتستغرق وقتها وجهدها ، ويترتب عليها إهمال واجبها الأصلى . . أما إذا إتخذ العمل صفة الدوام للكسب بالخارج فهو يخرج عن نطاق هذين الأمرين لما يترتب عليه من مضار سنبينها فيما بعد .

وقد نشر فى جريدة الأهرام الصادرة يوم الجمعة ١٨/٩/١٩٩٢ رأى للأستاذ أشرف مصطفى كمال رئيس النيابة بالنقض المدنى يقول فيه : « إن الزوج لا يستطيع أن يمنع زوجته من العمل مادام هذا العمل مشروعاً ، وبالتالى يكون لها حق الخروج للعمل حتى مع اعتراض الزوج ، ولا يكون هذا سبباً لإسقاط نفقتها عليه ، ولكن إذا ظهر أن هذا العمل المشروع قائم على نحو منافٍ يتعارض مع مصلحة الأسرة ،كحاجة الأسرة إلى وجود الأم لتربية صغارها الرضع ، أو لمرض الزوج أو نحو ذلك فللزوج فى هذه الحالة منع زوجته من العمل والخروج، فإذا خرجت للعمل يسقط حقها فى النفقة باعتبارها ناشزاً ، لأن استعمالها لهذا الحق فى العمل يكون مشوباً بإساءة استعمال الحق ، ويتنافى مع المصلحة المؤكدة للأسرة » .

وفى مقال للدكتور حسين رمزى كاظم رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة نشر فى جريدة الأهرام يوم ١٩٩٢/٩/١٩ تحت عنوان (المرأة العاملة) نقرأ ما يأتى : « إن تشتت المجهود البدنى والفكرى للمرأة بين العمل والمنزل وأزمة المواصلات والمرور ، ومشكلة رعاية الأطفال وعدم توافر دور الحضانة الكافية، ومشكلة عدم وجود الشغالات وارتفاع أجورهن ، وعدم توافر السلع الاستهلاكية، ومشكلات المرأة العاملة بعد الزواج ، والرعاية الصحية التى تحتاج إليها أثناء فترات الحمل ، وإجمالى عدد أيام الإجازات الاعتيادية والمرضية وإجازات الوضع، وساعات الرضاعة التى تحصل عليها . جميع هذه الضغوط لاشك أنها تؤدى إلى انخفاض إنتاجية المرأة العاملة ، سواء التى تعمل فى مجالات الإنتاج أو الخدمات. وهذا يدعونا إلى التساؤل : ما هو الحل؟ . . وهل هناك إمكان فى المدى الطويل أو القصير لزيادة كفاءة المرأة العاملة ، وما هى أفضل الحلول العاجلة للمشكلة التى تعوقها عن تأدية الرسالة الاجتماعية المكلفة بها؟ . . . إن الحل فى رأينا لمواجهة تلك المشكلة الهامة التى أصبحت تهدد مستقبل التنمية فى مصر ، كما تهدد أيضاً مستقبل الأسرة المصرية إنما ينبنى على أساس أن القضية ليست هى أن تعمل المرأة أو لا تعمل ، أو أن المرأة العاملة تعد قوى منتجة أو غير منتجة، وإنما جوهر المشكلة يكمن أساساً فى قدرات المرأة ذاتها ، وفى الظروف التى دفعتها إلى اتخاذ قرار العمل . . فإذا كان العمل بالنسبة لها لا يضيف إليها عائداً اقتصادياً هى فى حاجة إليه ، أو عائداً اجتماعياً ومعنوياً هى حريصة على الحصول عليه ، بل أصبح العمل بالنسبة لها عبئاً لا تستطيع أن تتحمله ، ولا يتناسب مع قدراتها وإمكاناتها . . فقد يكون من المنطق والأفضل لها أن تمارس عملاً آخر أقدس وأشرف فى تربية أطفالها وتنمية معارفهم وأخلاقياتهم ، وغرس القيم الدينية والسلوكيات النبيلة بينهم ، والمشاركة فى بناء الأسرة الصالحة التى هى عماد

المجتمع ، والتى إذا ما فسدت فسد المجتمع كله

ذلك هو المعيار الوحيد الذى ينى عليه قرار عمل المرأة ، وهو ملك لها وحدها ولأسرتها ».

ونجد أن هذين الرأيين يتفقان إلى حد ما مع ما ذكرناه ، ويتضح منهما أن عمل المرأة الذى يتعارض مع رسالتها المنزلية وهى الزوجية والأمومة غير جائز لأن فيه قضاء على حياتها الأسرية ، و مما يؤيد هذا الرأى أننا نجد أن المرأة العاملة التى يتعارض عملها مع حياتها الأسرية تحصل على إجازة لرعاية أولادها ، أو لمرافقة زوجها عند سفره وأحياناً تقدم استقالتها تفضيلاً لأسرتها على عملها

وإذا بحثتِ حقيقة حق المرأة فى العمل استحال عليك أن تلحقيه بما يعرف الناس من أنواع الحقوق فإنه بطبيعة الحال ليس من الحقوق ذات القيمة المالية التى يحميها القانون وليس من قبيل الحقوق التى قررتها الشريعة فى الأحوال الشخصية ، بل هو ضدها على ما قدمنا . فإذا ذهبنا إلى الطبيعة وجدنا الإنسان بفطرته مؤهلاً لكثير من الحقوق العامة ، ومنها حق المرأة فى أن تمارس ما ترشحها له خصائص الأنوثة لأنها خلقت أنثى ، فمن حقها أن تكون زوجة وأما وربة بيت ، وليس لكائن ما أن يمنعها هذا الحق ، وعلى المجتمع – ممثلاً فى الدولة – أن ييسره لها ، ويتخذ كل الضمانات لحمايته .

وإذا كان تأهيل الطبيعة يرشح الإنسان لحق من الحقوق ، فهو يتضمن فى الوقت نفسه تكليفاً له بأداء المهمة التى أريد لها ، أى واجباً لا يجوز له التخلى عنه وعليه فالأنوثه إذا جعلت للمرأة حقاً فى أن تكون زوجة وأما وربة بيت

فهو في الوقت نفسه تكليف لها ، أو أمر إلهى بأن تحقق الغرض الذى خلقت له، وقد جاء الشرع فأكد هذا التكليف وبيّنه . . فهو حق لها من وجه ، وواجب من وجه آخر لا يجوز لها أن تتخلى عنه . . ولا يجوز في عقل عاقل أن يضيف إلى هذين الوجهين وجهاً ثالثاً هو حقها فى أن تخرج من بيتها لتشتغل بغير مهمتها فى الكسب الدائم والاحتراف الرتيب .

فإذا لم يكن عملها هذا معدودا فى الحقوق المالية ، ولا الحقوق المتعلقة بالأحوال الشخصية ، ولا الحقوق الطبيعية فالقول بأنه حق ادعاء لا يقوم على أساس .

لماذا تعمل الانثى ؟

يمكن تلخيص ما يقال من المسوغات لتبرير عمل المرأة فى ثلاثة مبررات وهى:-

المبرر الأول :

أن عمل المرأة يوسع آفاقها ، ويبرز وينمى مقومات شخصيتها ، ويقيها السأم القاتل الذى يورثها إياه بقاؤها الطويل فى البيت ، أو فراغها الذى تقضيه بين أربعة جدارن المنزل .

الرد عليه :

هذا الكلام حق لا تنازع فيه ، ولكنه مبنى على جهل المرأة فى الماضى ، إذ لم يكن لها من الإلمام بعلوم الحياة والدين ، وألوان الثقافة والأدب والفن ما

ينير ذهنها ، ويصلها بآفاق الحياة ، ويعرفها بقيمتها وحقها ، ورسالتها فى داخل البيت وخارجه ، فأورثها هذا الجهل ضيق المجال الحيوى ، والأفق الذهنى . وضمور الشخصية حتى لم تعرف من قدرها إلا أنها كائن للحمل والولادة وعمل البيت ، فى أسلوب آلى بعيد عن الاستنارة التى تنظم ذلك ، وتبين أهدافه السامية التى ينطوى عليها ، أو تستتر خلفه

ولكن طلب العلم فريضة عليها يجب أن يمكنها منه وليها أو الدولة . . والعلم المطلوب هو العلم بدينها ، وكل معرفة تنير ذهنها ، وتقوّم ضميرها ، وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها ، وأهداف زوجيتها وأمومتها الروحية والاجتماعية ، وواجبها فى توفير الظروف الحسية والنفسية لعمل قانونى الزوجية والأمومة ، وحقيقة إنسانيتها ورسالتها التى يجب أن تحققها فى الحياة .

ولو توفر لها كل ذلك لكانت الأنثى المسلمة اليوم بين نساء العالم قاطبة مثالاً فرداً لا يسامى ولا يدانى فى كرامتها وثقافتها ، وعلو منزلتها وقيادتها ، وعمق أثرها ، ولكانت مضرب المثل ، ومنار القدوة فى الشرق والغرب . . . .

مع العلم بأن قيام المرأة فى بيت زوجها راعية لماله ، مدبرة لأمره ، مربية لأولاده، مدركة لأهداف زوجيتها وأمومتها ، عاملة لها فى ثقافة وصدق كاف لملء فراغ قلبها وعقلها ووقتها الذى تشكوه . . . . ومما يؤيد هذا الرأى ، ويرد على هذا المبرر ما قالته الكاتبة الأمريكية فيليس ماكجنلى فى مقال بعنوان (البيت مملكة المرأة بدون منازع : « وهل نعد نحن النساء – بعد أن نلنا حرياتنا أخيراً – خائنات لجنسنا إذا ارتددنا لدورنا القديم فى البيوت؟ » ، وتجيب عن هذا السؤال بقولها : إن لى آراء حاسمة فى هذه النقطة ، فإننى أصر على أن للنساء أكثر من حق فى البقاء كربات بيوت ، وإننى أقدر مهنتنا وأهميتها فى الحقل

البشرى إلى حد أنى أراها كافية لأن تملأ الحياة والقلب » . . وهـذا كـاف لزوال المبرر الأول الذى رتبوا عليه خروج المـرأة للعمـل .

المبرر الثانى :

أن مجد الأمة فى كثرة الأيدى العاملة ، وأن المـرأة نصف المجتمـع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد أن يكـون نصف المـرأة عاطـلاً .

الرد عليه :

وهذا القول حق ، وقـد يكـون فيـه إعجاب ورغبـة فى تقليـد الغـرب وقـد لا يكـون . . فـإن مقومـات الأمـم ضربـان : ضرب روحى يتمثـل فى قـوة عقائدهـا ، واعتزازها بثروتها من القيم والمثل العليـا . . وضرب حسى يتمثـل فى قـوة جيشهـا ونظامها واقتصادها . . . وكلما كان حظ الأمة من كـل من هذيـن الضربيـن أوفـر كان حظهـا مـن مجـد الحيـاة – أى بطولـة النفس ، وشرف الغايـة ، والقـدرة على التوجيه و القيادة بين الأمم – أبين وأعلى ، ولأغنى للأمـة بوجـه مـن الوجـوه قيـام كـلا الضربيـن بهـا . . وقـد جـاء الإسلام بوجـوب تحقيقهمـا معاً ، إذ أمـر ببـذل الإستطاعة فى الأول بقولـه :﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ « التغابـن ١٦ » وببذل الاستطاعة فى الثانى بقولـه : ﴿وَأَعِدوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ « الأنفال : ٦٠ » ، وبذل الاستطاعة معناه بلـوغ غايـة الطاقـة ، واستفـراغ الجهـد فى مـا أمـر به.

وذلك موكول بطبيعـة الحـال إلى كـل مـن الرجـل والمـرأة ، فـإذا تساويـا فى مسئولية كل منهما عن تحقيق خصائص تقـوى الله فى نفسه افترق كـل منهمـا عـن الآخر فى تحقييق غايات لا غنى عنها ، أو لابد منهـا : الرجـل إلى الإنتـاج وتنميـة

الثروة وكسب الرزق . . والمرأة إلى الأسرة . . إلى عمل أشق وأقوم ، بل أقدس ثمرة مما يعمل الرجل : فهى تحمل وترضع وتربى الأولاد ، وترعى الزوج وتدبر وتخدم فى أكثر الأحوال . . وتثمر السكن والمودة والرحمة ، وثمر الأمومة الروحى و الاجتماعى . . . وهذا الافتراق الذى هو مقتضى ما أهّل به كل منهما هو عين التقائهما على الإسهام بأوفى ما يكون فى بناء الأمة الاقتصادى والروحى، فإذا أدى كل منهما ما وجه إليه بحقه استقامت مصلحة الأمة على أكمل وجه .. وإذا أهمل أحدهما أو كلاهما ، أوفقد صلاحيته لواجبه فلا قيام للمجتمع ، ولا مجد للأمة بالمعنى الحق .

وقد يكون هذا الاتجاه متأثراً بتقليد نساء الغرب اللاتى تولين أكثر أعمال الرجال فى الكسب والإنفاق بعد الحرب العالمية الكبرى ، ووجد منهن ألوف الألوف من الأرامل والعوانس اللائى لا كافل لهن من الرجال . . وقد يكون متأثراً بالمرأة التى كانت تجهل الحياة وحقيقة مهمتها ، وأثر ذلك فى بيتها وعلاقتها بزوجها ونحوه مما يحمل البعض على الظن للوهلة الأولى أن عمل المرأة فى البيت يعتبر لاشىء .

ولكن إذا تعلمت المرأة ، وتثقفت ثقافتها التى فرضها لها وعليها الإسلام ، وفهمت حقيقة نفسها ورسالتها ومهمتها ، وأدت هذا خير تأدية ، وحققت ثمره فى بيتها وبنيها وزوجها والمجتمع لا تعتبر عاطلة .

أما إذا أريد بأن مكان المرأة فى بناء الأسرة ، ونسج روابطها على الحب والرحمة والسكن الروحى ، وإمداد الولد بخصائص التنظيم التى يحفد بها والديه، ويعرف حق الله وفضله فى نعمة الحياة . . إذا أريد أن هذا لا شىء وأن المشتغلة به مشتغلة بقيم أفلاطونية فى عالم غيبى لا حقيقة له ، فهى لذلك عاطلة يجب أن

تخرج لتعمل فإن ذلك تخريب ووثنية سافرة .

وإذا قرروا أن المرأة تستطيع التوفيق بين عملها فى الخارج فتحمل فيه ما يتحمل الرجل ، وبين عملها في البيت فتحمل واجبات الزوج والأولاد بالإضافة إلى واجبات عملها فى الخارج فهم بذلك قد اعترفوا بأنها عاملة فى البيت وليست عاطلة . . . . وفى الجمع بين العملين قضاء على السكن والرحمة والمودة وعلى تربية الأولاد الذين يتركون للخدم ، أو يعطون مفاتيح الشقق ليدخلوها بعد عودتهم من المدارس ، ويظلون في البيت بدون رعاية ، أو الذين يظلون في الشوراع أو عند جيرانهم إلى أن يعود أبوهم أو أمهم من العمل ويتعرضون لأخطار الشوراع الأخلاقية والصحية . . وكل هؤلاء الأولاد يشعرون بالضياع ، ويحرمون من دفء الأمومة وحنانها . . . وذلك لأن الأمور المعنوية لا يمكن أن تقسم بين وقتين .. ولذلك تقول الكاتبة الأمريكية فى مقالها السابق : « وإذا قيل لنا على نحو تعسفي: إن من واجبنا أن نعمل فى أى مكان غير المنازل فهذا لغو زائف ، فإنه لا يوجد عمل يستحق أن يمزق شمل الأسرة من أجله » وإذا بطل التوفيق زال الشق الثانى من المبرر .

وإذا وازنا بين عمل المرأة وبين عمل الرجل من حيث الجدوى على الحياة ومجد الأمة وجدنا أن عمل المرأة وهو إنجاب الذرية وإعدادها إعداداً سليماً للحياة ، وحفظ تسلسل الجنس ، ورعاية زوجها والمحافظة على أسرتها هو لب الحياة ، وأن عمل الرجل ليس من صميم اللب ، ويقوم مقام الحارس على أسرته.. ولقد التفت برناردشو إلى دقائق هذا المعنى فقال بأسلوبه الدقيق اللاذع : « أما العمل الذى تنهض به النساء . . العمل الذى لا يمكن الاستغناء عنه . . العمل الذى لايمكن الاستعاضة عنه بشيء آخر فهو حمل الأجنة وولادتهم وإرضاعهم،

وتدبير البيوت من أجلهم . . ولكنهن لا يؤجرن عليه بأموال نقدية . . وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق . . فإذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم ، وأنه هو الكادح وراء الرزق ، الساعى المجهد وراء لقمة العيش ، وما إلى ذلك من الأوصاف التى يخلعونها عليه فى جهل وافتراء.. ألا إن المرأة تعمل فى البيت!.. وكان عملها فى البيت منذ الأزل عملاً ضرورياً وحيوياً لبقاء المجتمع ووجوده بينما يشغل ملايين الرجال أنفسهم ويبددون أعمارهم فى كثير من الأعمال التافهة.. ولعل عذر الرجال الوحيد فى قيامهم بتلك الأعمال أنهم يعولون بها زوجاتهم اللائى لا يمكن الاستغناء عنهن . . ومع ذلك فالرجال مغرورون . . لا يريدون أن يفهموا »

المبرر الثالث :

مساعدة من يعولها ، وقد تكون لا عائل لها فتعول نفسها بالعمل ، وقد يتوفى عنها زوجها ويترك لها أطفالاً عاجزين عن العمل ، ولا شئ لهم ولا لها فتجد فى العمل عصمة لها ولأولادها من الضياع . . وهى مع ذلك إنسان ، ومن كرامتها أن تستقل بطلب عيشها فلا تكون عبئاً على سواها ، وإنما يكفل لها تلك الكرامة أن تعمل .

ويناقش هذا المبرر من ناحيتين :

الأولــى : ناحية اتصاله بواقعنا ، وصلاحيته لتعليل خروج المرأة عندنا للعمل ، فهو من هذه الناحية بعيد عن واقعنا كل البعد ، فليس فى عرفنا أن الأنثى تأنف أن تعيش فى كنف أبيها أو زوجها أو ابنها بل العكس هو الواقع ، فإن الإناث عندنا يعتبرن الإقامة

فى رعاية هؤلاء هى الكرامة الطبيعية لهن ، ويعتبرون من أفدح المحن أن تصاب إحداهن فى تلك الرعاية بما يضطرها إلى الخروج لخدمة أو عمل . . . فادعاء الكرامة لا يصلح تعليلاً لخروج المرأة عندنا للعمل لأنه لا يصور واقعنا ، والتقاليد والعرف عندنا بخلافه .

الثانيــــه : ناحية اتصاله بعرف الآخرين ، وهى ناحية تريبنا الأثر الذى يبلغه تحكم المادية فى مجتمع ما ، إذ يصاب التجاوب الفياض بين الأب وابنته بآفة من الجمود ، فيها أنانية تضيّق ينابيعه ، وتحد من فيضه ، وفيها آلية تؤقت أملها فيه ، وقبوله إياها بوقت معين .

أما تبريرهم خروج المرأة للعمل بأنها قد تساعد عائلها الفقير ، وتحفظ أطفالها اليتامى من الضياع . . إلخ فيتضمن الدلالة على أمرين :-

الأول : تقصير المجتمع أو قصوره عن فهم واجبه فى رعاية الفقير والعاجز ومحدود الدخل .

الثانــى : خمود العامل الإنسانى نحو المرأة التى تضطرها الضيعة إلى العمل لتعول أيتامها .

وهذا فساد المجتمع ، وإن منطق العلاج فى كل إصلاح هو إزالة الفساد نفسه - أى أصل العلة - لا أن نجعل أوضاع الفساد هى المتحكمة فى توجيه الفكر وإملاء الحلول فتخرج الأنثى لتعول أباها وأيتامها .

ومما يذكر أن عدالة الإسلام جعلت حقاً فى بيت المال لمحدود الدخل يغطى نفقة من يعول ، ويجعل اليتيم الذى لا مال له ، ومَنْ لا عائل لها - صغيرة كانت أم كبيرة - فى كفالة ولى الأمر ببيت المال لأن صفة الأنوثة فى الإسلام من صفات العجز عن الكسب ، ويعطى اليتيم إلى أن يستغنى بالعمل ، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلاَّ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اقرءوا إِنْ شِئتم » قال تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ « الأحزاب: ٦ » فأيما مؤمن ترك مالاً فلورثته ، وإن ترك دَيْناً أو ضِيَاعاً فليأتنى فأنا مولاه » والضياع هم العاجزون عن الكسب . . . فقانون الزوجية والأمومة قانونان روحيان، لهما قدرتهما على تحقيق أقدس قيم الحياة ، ولكنهما صفة عجز إذا أريد التكسب.

وإذا لم تجد من لا عائل لها مَنْ يساعدها يجب أن تعمل لتصون نفسها وأولادها، ما دام العمل من النوع الشريف ،

وأيضاً فإن المرأة ترى بذكاء العاطفة ورهافة الحس جانب البأس من الرجل فتذوق منه طعماً يملأ وجدانها بالإعجاب والرضا . . وذلك لب قانون القوامية ونبع إحساسها وإقرار نفسها به . . ويقابل ذلك من الرجل أنه يجد به معنى يرتاح إليه لا يجده فى صراعه مع الحياة . . معنى التسليم ببأسه ، والرضا بامتيازه ، وهو طعم يرضى طموحه ، ويوطّد ثقته بنفسه ، ويجدد عناصر القوة والعزيمة فيه، وهو من عوامل السكن الذى قرره القرآن .

وهناك أيضاً عوارض طبيعية للمرأة تشترك فى تقرير عجزها عن عمل التكسب فى الخارج . . تلك هى العادة الشهرية - الحيض - والحمل تسعة أشهر ، والولادة والنفاس ، وقد أثبت الطب آثارها النفسية والعقلية والبدنية التى تحدثها هذه العوامل فى كيان المرأة العام مما يعوقها عن العمل الدائم فى الخارج ، ويؤثر

على أدائها بما لا يمكنها من إنجازه على الوجه المطلوب .

ويلاحظ أن أكثر المتزوجات العاملات تعملن للافتخار بشراء الكماليات ، والذهب ، والغالى من الملبوسات ، . وربما تجد الواحدة منهن زوجها فى حاجة إلى المال فتفضل أن تشترى ما تباهى به على أن تساعد زوجها بحجة أنه ملزم بالإنفاق عليها وعلى أولادها ، وتنسى أنها لم تحصل على هذا المال إلا على حساب التقصير فى واجبات زوجها نحوها ، وقد تحمل هذا التقصير نظير مساعدتها له ، كما تنسى أن إلزام الزوج بالإنفاق عليها نظير تفرغها لرعايته ورعاية أولادها، هذا ما نراه واضحاً فى رأى المستشار القانونى ، ومن هنا يجب أن تساعد زوجها فى الإنفاق

وإذا كانت الأنثى غير متزوجة فليس عليها واجبات الزوجية والأمومة ، ولذلك يجوز لها أن تعمل العمل الدائم فى الخارج إذا كانت محتاجة إليه لأنه لا يوجد ما يؤثر على عملها .

وأرى أن تبدأ وزارة القوى العاملة بتعيين الخريجين الذكور أولاً ، ولا تعين الإناث إلا بعد تعيين جميع الذكور لأنهم أولى بالتعيين للأسباب الآتية :-

(١) معالجة ما يعيشون فيه من إحباط ونقمة على الحياة ، وشعور بالضياع ، وفقدان الذات .

(٢) مقدرتهم على العمل واستمرارهم فيه لعدم وجود عوائق طبيعية تؤثر على تأديتهم أعمالهم .

(٣) بعد تعيين الذكور تعين الانسات ، ويفاضل بينهن حسب حالتهن الاجتماعية مع اتباع الطرق التى تضمن عدالة التعيين .

(٤) إن معظم الإناث يتزوجن قبل التعيين ، ويرضين يدخل أزواجهن ، ويكن في استقرار عائلي .

وإذا كانت المساعدة المادية هي الدافعة إلى عمل المرأة فأرى أن تُضاعف مرتبات الموظفين ويستغنى عن الموظفات لأن في هذا استقرارا عائليا ، وقضاء على البطالة المقنعة ، وفتح أبواب العمل أمام العاطلين ، وقضاء على كثير من المشاكل الفرعية المتعددة .

ما الاعمال التي تناسب الانثي ؟

من البديهي أن المطلوب منك أولاً تركيز اهتماك في تدبير شئون بيتك فإن هذا ما أعدك الله له بتكوينك النفسي والعقلي والجسمي ، وهذا هو الواجب الأول الذي يجب أن تؤديه .

ولاشك أن البيت هو المكان الطبيعي لتحقيق المقاصد العليا الروحية والاجتماعية التي أرادها الله بخلق الأنثى ، وأنه لا يجوز لك الخروج منه إلا لمصلحة . . . ولك أن تزاولي أى عمل فكرى أو بدني في البيت أو في خارجه بأجر أو بغير أجر . . فلك أن تخرجي من بيتك لتبيعي ما لاحاجة إليه ، أو لتشترى ما تريدين من المتاع والملابس والأطعمة ونحوها ، سواء أكان ذلك لمصلحة أسرتك أو لمصلحتك الخاصة . . ولك أن تخرجي لتسمعي محاضرة عليمة أو عظة ، أو تشهدى مؤتمراً أو ندوه وتشتركي فيها ، أو تسهمي في نشاط اجتماعي .

ولك أن تفتي الناس في دينهم - إن كنت عالمة به - وأن تقضي بينهم ،

فإن من له الفتوى لـه القضاء على مـا ذهب إليـه بعض الأئمـة . . ولك أن تلتحقى بالجيش وقت الحرب فى أعمال التمريض والإسعاف والخدمة ونحوها ، فقد كـان نساء النبى عليه السلام وأصحابه يخرجن فى الغزوات مـع الرجـال يسقيـن المـاء ، ويجهزن الطعام ، ويضمدن الجراح ويحرضن على القتال . . وقد ثبت فى الصحيح أن عائشة زوج رسول الله عليه السلام وغيرها كنَّ يحملن قرب الماء إلى الجرحى فى غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم ، ولما جرح الرسول عليـه السلام تـولت فاطمة غسل جرحه وتضميده . . وقد ثبت أن النساء كن يخرجـن بـإذن رسـول الله عليه االسلام مع الجيش لخدمة الرجـال : فقـد روى البخـارى وأحمـد عـن الربيـع بنت معوذ قـالت : « كنـا نغزو مـع رسول الله صلى الله عليـه وسلـم نسقى القـوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينـة » . . بـل لك أن تحملى السلاح فى الحـرب إذا دعت الضرورة ، فقـد ورد فى صحيـح مسلـم أن الـرميصاء زوج أبى طلحة اتخذت خنجراً يوم حنين ، فلما سألها زوجها عنه قـالت : « اتخذتـه ، فـإن دنا منى أحد المشركين بقرت بطنه » ، وقد أخبر زوجهـا رسول الله صلى الله عليـه وسلـم بـذلك فلـم ينكـر عليهـا ، ولك أن تكـونى وصيـة ووكيلـة ، وأن تلى بعض الأمور .

ومن الأعمال المفضلة للمرأة إذا اضطرتك ظروفك للعمـل التـدريس للإنـاث ، وتطبيب النساء وتمريضهن ، وتعليم الإناث أحكام دينهن وما يتعلق بشئونهن الزوجية وتربيـة أولادهـن ، وتدبيـر شئون منزلهـن ، والأمـر بالمعـروف والنهى عـن المنكـر بالقول أو بالكتابة ، ويدخل فيه انتقاد الحكام ، فقد نهى عمر بـن الخطـاب النـاس عن المغالاة فى المهور خوفاً من عاقبتها ، فاعترضت له امـرأة مـن قـريش وقـالت: أما سمعت ما أنزل اللـه؟ يقـول تعـالى : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَـانَ زَوْجٍ

وَآتَيتُم إِحدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأخُذوا مِنهُ شَيئاً أَتَأخُذُونَهُ بُهتَاناً وَإِثماً مُبيناً * وَكَيفَ تَأخُذُونَهُ وَقَد أَفضَى بَعضُكُم إِلَى بَعض وَأَخَذنَ مِنكُم مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ « النساء : ٢٠ - ٢١ » فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر . . وفى رواية : كل الناس أفقه من عمر . . . وسائر الأعمال التى تناسب تكوينك الجسمى وظروفك الطبيعية، والتى ليس فيها خلوة بالرجال ولا اختلاط بهم حسب سنة الشرع فى ذلك ، حفاظاً عليك ، ودرءاً للشبهات عنك .

كيف يؤثر عمل الانثى على زوجيتها وامومتها وبيتها ؟

لاشك أن عملك المستمر خارج المنزل له تأثير كبير على حياتك الزوجية ، ولعل أقرب مثل يوضح ذلك تلك الزوجية التى تنعقد بين امرأة موظفة ورجل موظف ، فإن للوظيفة التى تقوم بها الزوجة فى الخارج ، وللمرتب الذى تتقاضاه بجهدها ، وللنصيب الذى تسهم به فى نفقات المنزل - إن كانت تسهم - أثراً يشغل فكرها ونفسها بمثل الأثر الذى يشغل ذهن الرجل ونفسه طول اليوم ، وكل يوم . . . . فالتفكير فى العمل وكل ما يتعلق به واحد لدى كل مهما ، ونصيبها الذى تسهم به فى نفقات البيت ونصيبه الذى يسهم به يقيمهما على مسئولية متماثلة قبل البيت الذى يجمعهما ، ويطبع فى نفس كل منهما إحساساً اقتصادياً واحداً له أثره فى تكييف ما بينهما من علاقة . . وهى بحكم عملها ذات إحساس بأنها كاسبة مثله على السواء . . فأى شىء من تلك العوامل الذهنية والنفسية المعارضة يمكن أن يؤازر ولا يعارض الأسس الفطرية التى يقوم بها الزواج فى الضمير قبل أن يقوم فى الخارج؟ . .

إن من تلك الأسس أن المرأة سكن للرجل ، فهل يمكن أن يجد ذلك السكن لدى امرأة قد يحضر فلا يجدها فى البيت لأنها فى عملها ، أويجدها ولكنها مثله مثقلة بتعب الفكر والنفس والجسم؟ . .

إن خروجك للعمل يعارض الخصائص الروحية للأنوثة التى تؤدى بها أشرف القيم للحياة ، أى أنه يعارض مشيئة الله تعالى فى قاموسى الزوجية والأمومة . . فهو بذلك عرف أو وضع لا يقره الإسلام . . . ذلك على أن قول الله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ « النساء : ٣٤ » إنما هو تقرير لقانون اجتماعى من القوانين التى لا تنعقد روابط الأسرة إلا بها . . فهو من حيث الظاهر يخبر بأن من الأسس التى يتكون منها بناء الأسرة أن يكون الرجل وحده مناط المسئولية والتكليف بما هو ضرورى للبيت من أنواع النفقة ، وأن يكون قوّاماً فعلاً بذلك . . . . ومن حيث الباطن يجب أن يكون مفهوم هذا القول الكريم قانوناً نفسياً قائماً بنفس كل منهما ، مسلماً به فى رضا وطمأنينة ، على اعتقاد أنه طاعة لله ، وأنه أحد قوانين ترابطهما وانتظام معيشتهما . ويرى رجال الاجتماع وعلماء النفس أن عمل المرأة على ضوء النتائج التى انتهى إليها معطل لأسمى خصائصها ووظائفها الطبيعية والاجتماعية ، وأن المجتمع بدأ يجنى من ذلك انحلال الروابط وهدم القيم .

إن خروجك للعمل كل يوم لا يحقق معنى قوله تعالى : « لتسكنوا إليها » الذى قرره الشوكانى ، وذلك لأن خروجك الدائم يجعل حاجتك إلى البيت كحاجة الرجل إليه للاستجمام والراحة ، وهذا إبطال لموجب إضافة البيت إليها فى قوله تعالى :﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ « الأحزاب : ٣٣ » ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ «الطلاق: ١» وقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ « الأحزاب : ٣٤»

لأن هذه الإضافة إضافة إسكان وليست إضافة تمليك تقررت لاستمرار لزوم المرأة البيت . . فخروجك تعطيل لنصوص كتاب الله ، وإبطال لما أراد الله بِكِ من مقاصد روحية واجتماعية لا تتحقق إلا باستقرارك في البيت .

إنك بتكرار العمل واندماجك فيه يصطبغ فكرك بصبغة وطبيعة مشاغله وملابساته وكل ما يتعلق به ، وينبه فيك حافز التقرب إلى رئاسة العمل ، والجد في ما يرضيها ، مع حذر الوقوع في ما يجلب لك ملامة ، أو يغيِّر نفس رئيس عليك، فتتخذين بذلك كل المشابه الفكرية والنفسية لكل موظف بصفة عامة ، فتكونين أقرب إلى الائتلاف به من سواه ، ولو كان من جهة غير جهتك . . . . وهذا المزاج من الفكر والوجدان الذى يغشى نفسك ، ويخالط فكرك وإحساسك لا جرم يكون له طابعه في تصوراتك وتصرفاتك ، فلا يقال : إنك بذلك مندمجة في سنن فطرتك ، وشواغل وظيفتك الأولى . . . وذلك غير جائز . . . فالعمل يشوش مزاجك الجامع لخصائص أنوثتك وقوانينك ، فإن الأنوثة ليست مجرد تكوين بدنى تحصل به الصلة الجنسية ، بل هى قبل ذلك خصائص من الوجدان والفكر والقوانين لتحقيق ما أراد الله من مقاصد يعوق تحقيقها المزاج المكتسب من العمل ، ويحد من قدرتها ، بقدر ما يدخل عليها من تشويش وتغيير .

إن من الأسس الفطرية التى يقوم عليها الزواج أن المرأة سكن للرجل ، وهو لا يجد ذلك السكن في المرأة العاملة كما وضحنا سابقاً ، ولأن رهافة حسها غاضت بتأثير العمل عليها ، واستبدلت بها طابع المماثلة بينها وبينه ، فإذا لقيته لقيته - بغير قصد - بإحساس أنها كاسب مثله ، ولمح كل منهما في الآخر وحدة المزاج الذى طبعه روتين الوظيفة وشواغلها على ذهنه ونفسه . فلا هى تجد فيه طعم البأس والجزالة الذى كانت تذوقه برقتها ووداعة حسها ، فيملأ وجدانها

بالإعجاب والرضا ، فتفقد بذلك روح قانون القوّامية ونبع إحساسها وإقرارها به، ولا هو يجد لديها ذلك الطعم الذى يفتقده فى صراع الحياة ، طعم التسليم بيأسه، والرضا بامتيازه، وهو الطعم الذى يرضى طموحه ، ويؤكد ثقته بنفسه ، ويجدد له عناصر القوة والعزيمة فيه .

فإذا أدى عمل المرأة إلى أن يطبع فى ذهنها ووجدانها تلك الآثار ، ويكون من نتيجته فقدان السكن بكل ضروبه ، وإلغاء قانون القوّامية ، فهو لا يؤازر خصائص تأهليها ، ولا يجيزه الشرع .

وقد حققت تجربة عمل المرأة صدق ما رسم الإسلام ، فإن الغرب الذى سبقنا إليه قد بدأ يواجه آثاره المدمرة ، فإن تعويل المرأة على نفسها فى كسب قوتها قد أشعرها بالاستقلال ، أو بانسلاخ ولاية الأولياء عنها ، وأغراها ذلك أول الأمر بقضاء شطر من الشباب فى متع جنسية حرة قبل أن تتقيد بقيود الزواج .

ثم وجدت أن الحمل يضايقها فى مصدر رزقها وعماد استقلالها ، وأنه مع تعدد الأولاد يحرمها كثيراً من فرص الخروج للنزهة والملاهى فأخذت تتخلص منه بوسائله المعروفة . . ثم وجدت موارد متعة الجسد واللهو مباحة إلى أبعد مدى ، ووجدت أن الارتباط بزوج معين والتقيد له بقيود خلقية ، يحرمها – وهى مستغنية – من أن تنال حظها مما هو موفور مباح ، فانحلت روابط الأسرة ، وقل الزواج ، وكثر فى المجتمع الأولاد غير الشرعيين .

وخلو اتجاهها من الاهتمام بوظائفها الطبيعية ، مع الإغراق فى استكمال كل شارات الرجل يدل على نزوع نفسى خطير يمثل الضيق بالأنوثة مع تصور الرفعة فى مكانة الرجل ، وتريد أن ترضى هذا النزوع فى نفسها بكل وسيلة ، ولو لم

تحس ضرورة ملحة إليه .

إن رقى المرأة الحق هو رقى إنسانيتها ، وثقافة عقلها ، وسمو خلقها ، وصفاء قلبها وطبعها ، وهذا يتعلق برقى ما تزاول من عمل ، ورقى العمل هو رقى المُثل الباعثة إليه ، والغايات التى تبتغى من ورائه .

فإذا بحثنا فى بصيرة عما وراء هجر المرأة للبيت إلى العمل وجدنا الصفقة الخاسرة . . . إنه تنقصنا البصيرة لتدرك على الأقل أن المودة والرحمة وآداب الحقد قِيم من قيم الحياة كقيم الاقتصاد ، والمرأة عندما تتفرغ لتوفيرها تربح ما لا يقدر بمال . . . إن هناك فرقاً شاسعاً بين ما تحققه المرأة لنفسها وللإنسانية كافة إذا تفرغت لحقيقة مهمتها ، وبين ما تحققه إذا خرجت عن ذلك لتكون كاسبة من أى وجه . وإذا ترك الناس لحكم الأنانية وضغط الظروف وحجاب الأوضاع القائمة فلن يكترث منهم أحد لما يسمى ثروة القيم ، ولا لسمو المثل والفضائل التى تحققها الأمومة المثلى ، ولا نحو ذلك مما يرجع إلى قيام الأسرة الفاضلة .

وقد كتب الأستاذ أنيس منصور يقول : « ونحن ننظر – عادة – إلى التفرغ للحياة الزوجية على أنه ليس عملاً ، مع أنه فى الحقيقة عمل اجتماعى ، واقتصادى، وتربوى ، ونفسى ، وبعض الدول الأوروبية تدفع أجراً للزوجة لأنها تعمل فى البيت – استراليا مثلاً – ، ولن يمضى وقت طويل حتى تجد المرأة نفسها أمام هذا الاختيار : إما العمل وإما الطفل ، ولن تتردد أبداً فى أن تختار الطفل » .

وتقول مارلين مونرو أشهر ممثلة إغراء فى رسالتها التى كشفها التحقيق فى قضية انتحارها: «احذرى المجد احذرى ما يخدعك بالأضواء.. إنى أتعس امرأة على

هذه الأرض. لم أستطع أن أكون أماً. إنى امرأة أفضّل البيت، الحياة العائلية الشريفة الطاهرة. بل إن هذه الحياة العائلية هى رمز سعادة المرأة بل الإنسانية. لقد ظلمنى الناس. وإن العمل فى السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة » .

كيف تخرجين من بيتك ؟

إذا خرجت من بيتك يجب أن تلتزمى فى ملبسك وزينتك ، وتعنين بالستر الدال على الحشمة والصيانة والمانع من الريبة والظنة . . وقد أباح الإسلام للمرأة إظهار الوجه والكفين والزينة الظاهرة لضرورة التعامل والقيام بالأعمال المشروعة من دينية ودنيوية ، وفسرها العلماء المختلفو المذاهب بالوجه والكفين ، وبالملابس الظاهرة كالجلباب ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلمُؤْمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبْصَارِهِنَّ وَيَحفَظنَ فُرُوجَهن وَلاَيُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنّ وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوَ آبَائِهِنَّ أو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوَ أَبنَائِهِنَّ أَوَ أَبنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوَ إِخوَانِهِنَّ أَوَ بَنِى إِخوَانِهِنَّ أَوَ بَنِى إِخْوَاتِهِنَّ أَوَ نِسَائِهِنَّ أو مَا مَلَكَت أَيمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِنَ غَيرِ أَوْلِى الإِرْبَةِ مِنَ الرِجالِ أَوِ الطِفلِ الَّذِينَ لَم يَظهَرُواْ عَلَىَ عَورَاَتِ النِسَاءِ وَلاَيَضرِبنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُواْ إِلَىَ اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾ « النور : ٣١ » ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : الزينة الظاهرة هى السوار والخاتم ، وأيدت قولها بقول الرسول عليه السلام : « إذا عركت المرأة – أى بلغت المحيض – لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها ، وإلا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى » . . . أما الزينة الخفية نحو

القلادة والخلخال والرأس وما فوق الذراعين فلا يجوز إظهارها إلا لمن جاء ذكرهم في الآية السابقة . . . والمراد بقوله : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أنها فيدريها على بفتحات قميصهن يسترن بها نحورهن وصدورهن على عكس ما كانت النساء تفعل في الجاهلية لعدم الحاجة إلى إظهار غير وجوههن وأيديهن في معاملاتهن. . . وأما معنى « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » فهو نهي النساء عما كان يفعله بعضهن في الجاهلية لتذكير السامع بما في أرجلهن من الخلاخيل افتخاراً بها ، وتشويقاً إليهن . . وشبيه بهذا ما تفعله بعض الإناث من السير بحذاء له كعب عال فيحدثن صوتاً يلفتن به أنظار الرجال إليهن .

وكل ما استحدثه الناس من المبالغة في حجب النساء فهو من باب سد الذريعة لا من أصول الشريعة ، فقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوفات الوجوه والكفين ، وأجمعوا على إحرام النساء بالحج والعمرة كذلك ، نعم إنهن كن يصلين الجماعة وراء الرجال ولكن كنّ يسافرن مع الرجال محرمات ويطفن بالبيت كذلك ، ويقفن في عرفات ويرمين الجمار على مشهد من الرجال في عهد النبي عليه السلام وخلفائه الراشدين ، وكن يسافرن مع الرجال إلى الجهاد لخدمة الجيش ، كذلك كما تقدم .

وتوجد في القرآن الكريم آية واحدة تسمى آية الحجاب ، فيها قوله تعالى عن نساء الرسول عليه السلام : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُم وَقُلُوبِهِنَّ﴾ « الأحزاب : ٥٣ » ، وقد جاء في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فنزلت آية الحجاب . . قال القاضي عياض : « فرض الحجاب مما اختص به أمهات المؤمنين ، وهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه

والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك لا فى شهادة ولا فى غيرها » وقد اختارت فضليات النساء ما اختار الله تعالى لنساء نبيه عليه السلام على سبيل الاستنان بالأفضل .

فحقيقة حجاب المرأة المسلمة أنه جملة من الآداب شر عها الإسلام ليبطل ما كان فى الجاهلية من تبرج وتعرض للإثارة ، وتحلل شائن فى صلة الرجال بالنساء، وليفصّل الحدود التى تبين علاقة كل من الجنسين بالآخر .

وكل ما ذكر من شأن الحجاب هو من قبيل الخصائص - لا القواعد - وللخصائص مرونة يقوم فيها الفقه والذوق بإدراك ما يسوغ وما لا يسوغ عند التطبيق مما تشتبه فيه الحدود ، فيقع فيها بعضهم بقصد أوبغير قصد . . وقد جاءت النصوص تؤازر الذوق والبصيرة فى ذلك بما ينبه الملكات الغافلة ، ويكف النفوس الجاهلة أو المتجاهلة ، ويقطع الشبهة عن كل من يعتذر بها من مخطئ أو معتمد .

والذوق فى العصر الحاضر يقتضى أن تكشف المرأة وجهها وكفيها لأن حجبهما ليس فرضاً ، ولأنهن يظهرنهما فى الصلاة وفى الحج وعند خدمة الجيش، وتيسيراً للنساء فى تعاملهن فى وظائفهن وفى الأسواق وفى احتكاكهن بأفراد المجتمع فى المعاملات ، خصوصاً وأن بعض الناس يستغلون النقاب فى ارتكاب الجرائم ، وترويع أمن المواطنين .

تلك بعض خصائص لما سنّ الإسلام من أدب الحجاب ، وهى خصائص تنتظم المرأة والرجل ، وتقوم على تزكية النفس فى حدود العقل والكرامة ، ورعاية كافة المصالح ، لا حجر على فكر ، ولا تضييق على مصلحة فى الداخل أو الخارج،

وليس وراء ذلك إلا الفتنة التى لا يتقدس بها مجتمع ، ولا تزكو بها قيمة فرد .

❑ ❑ ❑

سابعا : . . .

الانثى سيدة مجتمع

أنت سيدة مجتمع

يقصد بسيدة المجتمع تلك الأنثى التى تكثر من العلاقات مع الآخرين ، ومن الذهاب إلى النوادى ، وتمضى معظم وقتها خارج بيتها لتوطيد علاقاتها العامة مع الناس ، وللإسهام فى الأنشطة الاجتماعية والمشروعات المتعددة ، وتترك أولادها للمربيات يربينهم كما يشأن ، وبيتها للخدم يتصرفون فيه كما يريدون . . . وهذا الاتجاه الذى تتجه إليه هذه الأنثى إنما يكون على حساب أسرتها ، فتهمل زوجها، وتربية أولادها ، وإدارة بيتها لأنها ربما تمر الأيام ولا تعرف شيئاً عن أحوال زوجها ، وأحوال أولادها صحياً أو دراسياً لأن صلتها بهم وقتية خاطفة ، فهى لا تجلس معهم ، ولا تتعرف على أحوالهم ، ولا تشعر بما يعانيه كل منهم ، ولا تشعرهم بحنانها ورعايتها لهم . . . ولذلك فمثل هذه الأسرة لا تشعر بدفء الحياة الأسرية ، ورعاية ربة البيت الروحية ، والرابطة الأسرية التى تجعل كلا منهم يرتبط بالآخر ارتباطاً وثيقاً ويشعر بما يعيش فيه .

أمثال هؤلاء الإناث لا يؤدين رسالتهن الطبيعية التى خلقن لها ، لأنهن بعيدات عن عمق الحياة الزوجية والأمومة ، ولا يعرفن منهما سوى الجانب المظهرى ، لأنهن فقدن الإحساس بهما ، وأصبحن فى حاجة إلى من يرعاهن ، ويدبر شئونهن... ولذلك غالباً ما تجد أسرهن مفككة الأواصر ، وأفرادها مختلفى الاتجاهات، ومنحرفى السلوك ، وأولادها تائهين فى تيار الحياة .

وهذا كله لأنهن لم يتبعن السلوك الإسلامى فى أسرهن ، وغرّهن بريق الحياة الاجتماعية ، و كلمات المدح والثناء فأرضين المخلوق وعصين الخالق . . .

وكـان يجب عليهـن أن يهتممـن بأسرهـن أولاً ، ويؤديـن واجبهـن نحـو أزواجهـن وأولادهن وبيوتهن ، فإذا بقى لديهن وقت بعـد ذلك فـلا مانـع من أن يقضينـه فى الأنشطة التى تتبع منهج الإسلام هدفا وسلوكـاً ، ولا تتعـدى الحـدود التى شرعهـا فى التعامل مع الناس ، فـلا تكثـرن مـن الاختـلاط بالرجـال ، ولا مـن الغيـاب عـن منازلهن ، ولا ينـدمجـن فى أنشطتهـن التى فى خـارج المنـزل مضحيـات فى سبيلهـا بحياتهن الأسرية ، فإن هذا أسوأ وشر ما تتجه إليه الأنثى ، ويكون سبباً فى القضاء على الأسر دينياً وأخلاقياً و دراسياً ، ثم ينعكس أثره على المجتمع فيكـون منحـلاً، هائماً على وجهه ، لايعرف منهجاً يتبعه ، ولا طريقاً يسلكه ، وذلك لأن ربـة البيت نست الله فى سلوكها مع أسرتهـا فأنساهـا نفسهـا ، وظهـرا أثـر ذلك فى أسرتهـا ، جزاء وفاقاً ، ولا يظلـم ربك أحـداً .

مرحباً بالأنثى سيدة المجتمع إذا كانت ملتزمة بدينهـا ، محافظـة على أسرتهـا ، مؤدية واجبها نحو زوجها وأولادها وبيتهـا . . . حينئذ تكـون زينـة بيتهـا ، ومنـارة مجتمعها ، وخير من يقتدى بها فى السلـوك القويـم .

❑ ❑ ❑

ثبت المراجع

(١) القرآن الكريم

(٢) تفسير القرطبى — لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبىّ

(٣) رياض الصالحين — للإمام محى الدين أبى زكريا بن شرف النووى

(٤) مكاشفة القلوب — الشيخ الغزالى

(٥) طفلك يا سيدتى — ماريون فايجر وجون أندرسون

(٦) أطفالنا وكيف نسوسهم — يعقوب قام

(٧) مشكلات الأطفال اليومية — د . إسحق رمزى

(٨) الأطفال مرآة المجتمع — د . محمد عماد الدين إسماعيل

(٩) نفسية المراهق — د . رياض محمد عسكر

(١٠) أصول علم النفس — د . أحمد عزت راجح

(١١) معالم التربية الإسلامية — من سلسلة « مفاهيم إسلامية » ٢٣

(١٢) حول مفهوم الحرية — من سلسلة « دروس إسلامية » ٢٩

(١٣) رسالة تبحث فى مسائل الحجاب والسفور . — الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

(١٤) حقوق النساء فى الإسلام — الأستاذ محمد رشيد رضا

(١٥) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة . الأستاذ البهى الخولى

(١٦) الأعشاب والجنس د. أيمن الحسينى .

المحتـــــويات

هذا الكتاب .. كيف تكونين انثى ناجحة ؟

هدى للإناث، ومناز لهن على طريق الحياة، وهاد لهن إلى سبيل النجاح، لقد أعددت هذا الكتاب إيمانا منى بأن الأنثى التى تعرف رسالتها الطبيعية فى الحياة ، وتحرص على تأديتها على الوجه الأكمل هى المنارة التى تضىء طريق الحياة للجميع.. وهى سر الأمة الذى ينفخ فى روحها فتتوجه إلى السبيل القويم .. وهى الروح التى تسرى فى أبنائها فتدفعهم إلى أرقى درجات الكمال، وترفعهم إلى أعلى مناصب المجد والفخار.

لقد شرح هذا الكتاب .. **كيف تكونين انثى ناجحة ؟** .. واجبات الأبوين نحو إناثهما فى مرحلتى الطفولة والمراهقة حتى يخرجن منها سليمات نفسياً ، وقد أعددن دينيًا وخلقيًا وتربويًا واجتماعيًا لمراحل حياتهن التالية.

وهذا الكتاب .. **كيف تكونين انثى ناجحة ؟** .. شرح للإناث ما يجب عليهن أن يتبعنه فى حياتهن : **زوجات .. امهات .. ربات بيوت .. عاملات .. سيدات مجتمع** .. مستدلا بالأدلة المأخوذة من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث الشريفة .. وبآراء بعض المعاصرين ، وبالأدلة العقلية التى تشرح الرأى وتوضحه ، وتقنع به ولاتفرضه ، ليكون الإيمان بما جاء فيه عن يقين ، والالتزام عن اقتناع .. والسير على منهاجه بعقلية مستنيرة بهدى الله تعالى وهدى رسوله ﷺ.. ترد على المعترضين وتقحم الجاحدين .. رافعة لواء الأنوثة العزيزة الكريمة المستقيمة التى تحرص على النجاح فى تأدية رسالتها فى الحياة كما هيأها الله لها ، لتفوز برضائه تعالى وثوابه الجزيل .
والله الموفق إلى الصراط المستقيم .

محمد محمود إسماعيل

٣ جنيه